مناقشة:

# كان من الواجب احترام الموضوع وصيانته من العبث

للاستاذ محمد زنيبر

كنت آمل ، بعد المقال الذى كتبته فى اول الصيف (١) حول ما يجب ان يكون من علاقة بين انتاجنا الادبى والمجتمع الذى نعيش فيه، ان يفتح باب للمناقشة المفيدة ، لان الموضوع جدير بان يحظى بقسط كبير من اهتمام الكتاب ، سيما فى هذا الظرف، الذى بدا البعض منهم يفكرون بشىء من الجد فى انعاش حياتنا الثقافية بالتاليف والابتكار والخروج من الجمود الفكرى .

(١) «اقلام» ، العدد الثالث .

ولم اكن اتوقع ان السيد محمد برادة فى رده على ذلك المقال سيتجنب هذا الموضوع الحيوى الذى يتطلب اختيارا عن وعى ، ليحدثنا من جهة . عن عموميات تتعلق بالعلاقات بين الشعوب والحضارات فى عصر اليوم ، وليبحث ، من جهة اخرى ، عن هويتنا السياسية وانتمائنا المذهبى . ومهما يكن ، فهذه طريقة فى المناقشة لا تتفق فى معناها ومبناها مع الروح المنهاجية التى انبثق عنها الفكر والثقافة فى زماننا هذا .

لذلك ، فساكون مضطرا الى شىء من الصراحة فى جوابى هذا . فقد اكتفيت فى المقال الاول بنوع من الايماء والتلميح لانى لم اكن اقصد السيد محمد برادة بالذات ، وانما سقته كمثال له اشباه ونظائر متعددة . وكنت فى الواقع لا اقصد الا انتقاد نزعة طغت على بعض شبابنا المتعاطين للكتابة وجعلتهم يفرطون ، عن حسن نية فى الغالب ، فى التحدث عن المذاهب الادبية والفكرية فى اوربا الغربية ، متغافلين عن الالتزام الذى يكون بين الكاتب ومجتمعه ، متناسين ذلك الرباط القوى الذى يجمع بالضرورة بينهم وبين جمهورهم . اذ لا يخفى على احد ان الثقافة القومية تنبثق وتزدهر من هذا اللقاء المتواصل والحوار المستمر بين الكاتب وجمهوره . ومهما انعدم هذا الاتصال ، فان الكاتب يصبح اجنبيا على قومه لانه بدل ان يحدثهم فى الاشياء القريبة منهم والتى منها تتكون حياتهم يجلب لهم الاقراص الفكرية من البلاد البعيدة ويقدمها لهم كافيون يتناسون به بؤسهم وشقاءهم .

فانا ، اذن . لم يكن يهمنى ان انتقد شخصا معينا ، بقدر ما كان يعنينى ان الفت النظر الى هذه النزعة وما ينطوى تحتها من لا مسؤولية تغيب عن الفطنة لاول وهلة .

وابدا اولا برفع التباس فيما يتعلق باحدى المسائل التى عالجتها فى مقالى السابق . فانا حين تحدثت عن بعض كبار الكتاب بفرنسا من امثال جيد وسارتر وكامو وبينت ان مشاغلهم ، بحكم اختلاف الظروف التاريخية ، لا تلتقى مع مشاغلنا ، لم اكن اقصد من ذاك انتقادهم او التنديد بادبهم . بل انى اعتبرهم بالنسبة الى والى كثير من ابناء جيلى كاساتذة محترمين ومحبوبين تعلمنا عنهم الشىء الكثير ، واستفدنا منهم تكوينا فكريا وثقافيا نعتز به دائما .

ولكن علاقة التلميذ بالاستاذ ليست عملية بيع وشراء يلتقى فيها الوفاء والاعتراف بالجميل مع العبودية الفكرية . بل ، ان اهم ما علمنا هؤلاء الاساتذة هو روح التمرد وحرية النقد والاعتراض ، لانهم هم انفسهم قاموا فى بلادهم ، فاعطوا المثل فى مقاومة الافكار السائدة التى كانت ترمى الى تجميد العقل وروح الابتكار فى المجتمع الفرنسى وفى فتح آفاق جديدة للذوق الفنى . انهم كانوا ولا يزالون يقدرون الحرية فى الشخص الى حد انهم يفضلون المنتقدين لهم والمعترضين عليهم ، على اولئك المعجبين الذين يترامون عند اقدامهم فى شبه استسلام وخضوع .

ولا غرو فان كل ما الفه «جيد» ، مثلا ، كان يهدف الى تقديس ذلك الفرق الذى يميز كل واحد منا عن الاخر اى ما يكون جوهر الذاتية عند كل شخص . ووجودية «سارتر» ما هى الا فلسفة جديدة للحرية ، فلسفة تلتقى فيها الحرية الكاملة مع المسؤولية الكاملة . اليس هو الذى يقول فى بحثه العجيب «ما هو الادب ؟» :

« وهكذا فان الكاتب سواء اكان باحثا ام مجادلا ام ساخرا ام روائيا ، سواء اقصر كلامه على الاهواء الفردية ، ام هاجم نظام

المجتمع ، فبصفته رجلا حرا يخاطب رجالا احرارا ، ليس له الا موضوع واحد : الحرية . وعليه ، فان كل محاولة يسعى من ورائها لاستعباد قرائه تهدده فى فنه بالذات (ص ١١٢) او ليس هو القائل فى فقرة اخرى : « حيث ان من يكتب ، بسبب كونه يتحمل مشقة الكتابة يعترف بحرية قرائه ، وحيث ان من يقرأ ، بسبب كونه يفتح الكتاب يعترف بحرية الكاتب ، فان الانتاج الفنى من اى جهة واجهناه هو عنوان ثقة فى حرية بنى الانسان .» (ص ١١١) .

علمنا هؤلاء الاساتذة معنى الحرية الفكرية فى اعمق معانيها ، وبذلك علمونا ان نتحرر منهم ايضا . وهم يفرحون حينما يرون ان تلامذتهم ينفصلون عنهم ويشعرون بذاتيتهم وكيانهم لانهم يشاهدون بعين اليقين ان مثالهم ودروسهم قد افادت وآتت اكلها .

بحيث اننا ، فى ابتعادنا عنهم واقترابنا من مجتمعنا الطبيعى واحتكاكنا بالوقائع والحقائق التى تكتنفنا من كل جانب نظل اوفياء لتعاليمهم بأحسن ما يكون الوفاء . ولذلك فنحن لا نحمل عليهم ولم يخطر ببالنا ان نحمل عليهم . وانما نقول لهؤلاء الذين يكثرون من التحدث عنهم فى كل وقت وفى كل موضوع :

**((زر غبا تزدد حبا فمن اكثر الترداد اضناه الملل))**

ان هؤلاء الاساتذة وضعوا اقلامهم فى خدمة مجتمعهم والدفاع عن الحق والحرية فى بلادهم ، فيجب عليكم ان تقتدوا بمثالهم وتنصرفوا الى مجتمعكم لتساعدوه على البرء من ادوائه والخلاص من مصائبه ولا تتخذوا من الانشغال بهم تعلة ومهربا .

×××

الواقع انني حينما اخترت السيد محمد برادة كمثال ، فلانني لم اقو على مقاومة هذا الارتسام الذى يفرض على نفسه بقوة بعد

قراءة مقالاته وهو انه حديث عهد باكتشاف سارتر وسيمون دوبوفوار الخ .. وبما ان لكل جديد لذة ، فقد اتضح لى ان حماسه فى التحدث عن اولئك الاعلام ما هو الا اثر لعشق ناشىء وصبابة تنثر ازاهيـــر الرضا والغرام حولها .

واشعر الان ، بعد فوات الاوان اننى فى هذه القصة الغرامية قمت بدور العذول . ومن المعلـــوم ان العذول مهمـــا كان صادقـــا فى عذله مخلصا فى نصحه ، فانه لا يصادف من العشاق المستهامين الا الاعراض ، والخصام .

وكنت انتظر ان لواعج الهوى ستلهم الكاتب ــ والهوى ملهم ــ جوابا يتقابل مع العذل ، واذا به يأخذنى معه فى رحلة جديـــدة طويلة وشاقة سنرى الان بعض فصولها .

لقد شاءت همته وابى بلاؤه الا ان يأخذ الموضوع الذى طرحته فى نقطة معينة فيوسعه الى اللا نهاية ويدخل فيه السياسة والاقتصاد والاجتماع والفلسفة والقارات الخمس والسماوات السبع اى ان يجعل منه طوفانا يغرق كل شىء .

فهو ما فرط فى رده من شىء ، فذكر العالم الثالث واوروبـــا والعالم العربى والاسلام والشباب الطلائعى وروسيا والصيـــن والطبيعة والاقلية الفعالة والعمال الانجليز واورد عددا من الاسمـــاء اللامعة مثل سارتر وكامو وجيد وماركس ومحمد حربى وجـــلال كشك وافلاطون وتوماس مور . والواقع اننى امام هاته العساكر المختلفة الازياء وهؤلاء الحلفاء المجلوبين من كل الاصقاع كدت القى السلاح وافر منهزما .

فهل كان من الضرورى توسيع الموضوع بهذا الشكل وجعلـه يسبح فى خضم مترامى الاطراف ؟ لو جاز لنا ان نفعل هذا فى كـل موضـوع ، لما امكن لنا ان نقوم باى بحث . لقد كان لدينا سؤال دقيق واضح : هل سنسعى لخلق ثقافة قومية تتجاوب مع مجتمعنا وتعبـر عن ظواهره وكوامنه وتكون المرآة الامينة التى يرى فيها نفسه كمـا هو ام هل سيقتصر نشاطنا الادبى على الذوبان فى الثقافات العالميـة الاخرى فنترجم عنها ونقتبس منها ونشغل بها انفسنا ونملأ فراغنا باستمرار ؟

ومثل هذا السؤال يتطلب جوابا فيه اختيار مبنى على حجـج، فمن اختار السيد برادة وبين وجهة نظره ؟ الواقع ان رده يكتنفـه شىء من الغموض والتردد والتناقض . فهو يتفق معى فى الفكرة الاساسية ولكنه سرعان ما ينقلب فيدافع عن الموقف الاخر منساقا مع هذه التيارات الطفيلية التى ادخلها على الموضوع والتى لم تزده الا تعقيدا مصطنعا .

وكان حريا به ، ما دام من المعجبين بسارتر ،ان ياخذ عنـه منهاجه فى المناقشة والبحث . فسارتر ، سواء فى ابحاثه الفلسفية او دراساته النقدية يحرص دائما على تحديد موضوعه حتى يكـون النقاش يتناول نقطة معينة ومعلومة لدى الجميع . وهذا مبدا اساسى فى المجادلة اتضح للناس منذ قديم ، ويكفى أن ناخذ مثال افلاطـون لنرى كيف كان فى كل حوار يحرص قبل كل شىء على تحديد الموضوع وتوضيح الكلمات المستعملة .

×××

وثمة شىء آخر لم يعجبنى فى رد السيد محمد برادة وهـو احتماؤه بعقيدته السياسية حيث يقدم انا اوراق اعتماده كرجـل

تقدمى من انصار محمد حربى ومن خصوم «الجماعة الاسلامية» التى تناوئه ومن «الاقلية الفعالة» ومن «مسيرى الخلايا الثورية» . ونحن امام هاته الصفات المختلفة ، لا يسعنا الا ان نهنئه على موقفه واختياره وان نقول له : مرحى والف مرحى . ونرجو الله ان يوفقه فى افعاله كما وفقه فى اقواله .

ولكن ، هل احترامنا لهاته الصفات سيحملنا على المزيد من المجاملة والاغضاء عن الاخطاء والتجاوز عن الهفوات ؟ الواقع اننا عندما نتذاكر فى ميدان الفكر والثقافة ، فلا داعى لان نضع فوق رؤوسنا شارات بانتماءاتنا السياسية او اختياراتنا المذهبية ، ويكفى ان نتحادث كاكاديميين لهم منطق وعلم وفهم ، فنقرع الحجة بالحجة ونقابل البرهان بالبرهان ، لاننا عندما نورد مسألة الانتماء ، فنحن ندخل عنصرا اجنبيا على الموضوع لنتخذ منه حاميا وشفيعا يوم لا ينفع الا المنطق .

على اننى ، مع تقديرى لما يتحلى به الكاتب من تلك الصفات، لا اتمالك عن العجب من الطريقة التى يفهم بها التقدمية . فهو حينما يحاول ان يحدد لنا معالمها لا يعدو كونه يخلق كهنوتا جديدا له رهبانه المطلعون والعارفون بالاسرار والمختصون وحدهم بالفهم والتأويل . فهاته «الاقلية الفعالة» التى يكون لها الحق وحدها فى التفكير والاطلاع هى اشبه ما تكون بهيئة الرهبان فى القرون الوسطى . هذا فى حين ان الشعب الذى يكون جمهور المؤمنين سيعود مجرد مادة خام او عجين يتناوله الراهب «التقدمى» فيعطيه الصورة التى اراد . فيجعل منه ، حسب الظروف ، عصفورا يرتل الالحان الشجية او كبشا للضحية او ثورا يرعى فى البرية ... الى ان يفتح الله عليه فى يوم من الايام بالادراك والفهم .

وهذا الراهب الجديد شخص عجيب فى تكوينه جذاب بهيئتـــه لانه يتمنطق بزنار من الماركسية ويعلق صليبا من الوجودية ويضـــع على راسه قلنسوة من العبثية ولربما لبس تحت الجبة سراويل من الشخصانية . فهو مسلح ضد كل الخصوم يجيب تارة بحجج ماركس ويمترض اخرى بآراء سارتر ، ولا عليه ان التجأ فى بعض الاحيـــان الى المفكرين الامريكيين انفسهم يقتبس منهم الحكمة والموعظة .

كل هذا طريف وجميل ، ولكن ماذا سيقول ماركس او سارتر او كامو ان راوا افكارهم تخلط مع بعضها ، رغم ما بينها من تناقض وتنافر ؟ لعلهم ، تبعا لنغمة الزمان سيفرحون لهذا التمايش السلمى .

الا ان التمايش هنا معناه انقضاء على تلك المذاهب كلها اذ من المعلوم ان الماركسية والوجودية تختلفان فى اصولهما واستنتاجاتهما ونظرتهما الى الاشياء . واما العبثية التى صوروها فى رواياتهم ، فهى تسير فى اتجاه مناقض لنداء التفاؤل والامل الذى برزت بـــه الماركسيـــة .

ولهذا ، فانى ارى من الان ان المختصين فى الدراسات الماركسية وفى تطور الفكر الاوروبى المعاصر سيحتجون على التقاء هاته المذاهب وانسجامها فى دماغ واحد . كـــما ان الاشتراكيـــين الحقيقيـــين سيتساءلون كيف يستطيع الانسان ان يكون مناضلا اذا كان يجمـــع كل هاته المتناقضات فى فكره . اذ من المعروف ان الاشتراكيـــين يشترطون فى المناضل ان يكون حاملا لنظرية متماسكة ذات منطـــق واحد بحيث تكون عقيدته لا تقبل المساومة فى اى جانب من الجوانب . اما نزعة الاقتطافية l'eclectisme التى تقتصر على الاقتباس من سائر المذاهب ، فهى فى نظرهم سمة من سمات البورجوازية وبـــاب منفتح على كل انواع الانتهازية .

وفى هذا الباب كلام كثير ونصوص مختلفة لفلاسفة الاشتراكية كنت أسوقها لولا خوف الاطالة . وانما الشىء الذى انا متاكد منه هو أن هؤلاء الذين يتهافتون بحماس واندفاع على المفكرين الاروبيين لا يدرسون نصوصهم بالعناية اللازمة ولا يأخذون نظرياتهم من المصادر الاساسية ، ولربما اكتفوا ببعض التحليلات المقتضبة التى تنشر فى الصحف السيارة والتى لا تغنى مطلقا عن الاطلاع على الكتب والاتصال بها مباشرة . ولو كانوا درسوها بتعمق لادركوا الفروق بينها وسهل عليهم الاختيار ولما ظلوا مثل الخفافيش يحومون حول النور دون ان يصلوا اليه . حقا ، ان الدراسة العميقة طويلة وشاقة ، ولكنها هى التى تستطيع وحدها ان تساعدنا على تعرية الحقائق المخبوءة وعلى وضع الاشياء فى نصابها الحقيقى .

ولا ادل على ذلك من موقف سارتر فى هذا الموضوع بالذات الذى نتناقش حوله ، موضوع الكاتب وعلاقته بمجتمعه ، فقد ذهب الفيلسوف الفرنسى الى نفس ما ذهبنا اليه وخرج بنفس الاستنتاجات ولربما اوردت فى آخر المقال مقتطفات مما قاله . ولو كان السيد محمد برادة تتبع باهتمام واستيعاب ما كتبه بطله سارتر لما اجتحنا معه لكل هذا العناء !

×××

كل ما سبق اخطاء وهنات قد يغتفرها الانسان لانها غير مقصودة ولانها راجعه الى الالة الفكرية التى يتوفر عليها الشخص. ولا يسوغ للانسان ان يطلب من الالة اكثر مما يمكن ان تعطى .

الا أن هناك اخطاء من نوع آخر يصعب التجاوز عنها لكونها متعمدة وكاشفة لنية مخبوءة . وهى التى تعتمد على تحريف الحقائق

وتقويل الناس ما لم يقولوا ونسبة بعض الافكار اليهم زورا واستعمال المغالطة والتمويه واصدار الاحكام الصارمة دون الادلاء بأية حجة والمقارنة بين ما لا يقبل المقارنة . وهنا يحق لنا ان نتساءل : ما الفائدة من المناقشة اذا لم يكن هدفنا الوحيد هو البحث عن الحقيقة ، واذا لم نكن نتكلم لغة واحدة ؟ ان السكوت فى مثل هذه الحال خير من ان نضيع وقتنا ونضيع للقراء اوقاتهم معنا . فالمناقشة ليست لعبة من نوع الشطرنج او الكارطة يتوخى فيها اللاعب الانتصار على خصمه ، بل هى عمل جدى يستهدف الوصول الى الحقيقة قبل كل شىء . وهى بهذا المعنى ليست خصاما او نزاعا ، بل تعاونا بين عقول مختلفة من اجل العثور على طريق الصواب فى كل مشكلة تعرض لنا ، على ان اللعب نفسها لها قوانينها التى يتقيد بها اللاعبون

وهنا اعرب عن اسفى لكون السيد محمد برادة فى بعض ما ناقشنى به لم يراع اية قاعدة ولم يلتزم باحترام الحقيقة .

فهو مثلا يتجاهل تماما ما ذكرته فى مقالى حينما يدعى اننى لم استوعب مقالة « عودة المثقفين » . الم اقل فى احدى الفقرات ما يلى :

« ولست انكر ما فى المقال من معلومات قيمة وما ينبىء عنه من اطلاع ومعرفة ، بل انى اذهب الى ابعد من ذلك واعلن موافقتى للكاتب على كثير من افكاره والاستنتاجات التى ادلى بها .»

وهل تكون الموافقة الا بعد التروى والاستيعاب ؟ ولكن الاتفاق على فكرة مجردة شىء وصلاحية تلك الفكرة لمجتمع معين شىء آخر . فهو يريد ان يقدم لنا ثياب الصيف فى ايام الشتاء . نحن لا ننكر وجود ثياب الصيف لاننا نراها فى كل المتاجر ولكننا نرجوه ان لا يفرض علينا ارتداءها وسط زمهرير البرد . فهذا نوع من المراوغة لم تكن تدعو اليه اى حاجة .

كما انه عندما يتحدث عن كتاب «الغزو الفكرى» للصحافى جلال كشك الذى يدافع عن افكار رجعية فى موضوع تطورنا الثقافى لا يتورع فى ان يحكم على بانتى اسير فى نفس الاتجاه . وما حجته فى ذلك ؟ انه قال كن فكان . وبهذه الطريقة كان السيد محمد برادة يستطيع ان يشبهنى بأى شىء اراد ، بشجرة ،مثلا ، او بحمار او بسيارة . ولم لا ؟ ما دامت كاف التشبيه موجودة وما دام الانسان فى عرف علماء البلاغة يستطيع ان يحذف وجه الشبه ؟

ولست ارانى فى حاجة لادحض هذا الزعم ، فانا احيله على مقالى السابق واساله فى اى فقرة دعوت الى الرجوع للماضى ، وفى اى مقطع حددت الاصالة بانها هى تجاهل مكاسب التقدم الفكرى العالمى وفى اى فصل تحدثت عن الدين وجعلت منه نقطة الانطلاق بالنسبة لتجديدنا الثقافى ؟

نعم ، طالبت كاتبنا بالعودة الى مجتمعه لا الى الماضى واظن ان الفرق واضح بين الكلمتين لا يغيب عن كياسة صديقنا محمد برادة. وانى لارجوه بهاته المناسبة ان يلقى نظرة على كتاب «الرفاهية الفكرية» للكاتب الفرنسى «مارسيل ايمى» ليعرف ما المقصود الحقيقى من هاته العبارة .

ولنا ان نقول نفس الشىء عن المقارنة بين «خصوم» محمد حربى» فى الجزائر ودعاة الرجعية الفكرية فى العالم العربى . فالكاتب يتحدث عن هؤلاء الخصوم كانه اصبح من المسلم ومن المقطوع به انهم رجعيون . ومن اين له ذلك ؟ هل بنى حكمه على معلومات موثوق بها ، ام نقل هذا الراى عن بعض الصحف الفرنسية التى لا تتثبت دائما فى نقل اخبارها واصدار احكامها ، وربما كانت فى بعض

الاحيان مدفوعة الى ذلك الموقف بشيء من الكراهية المجانية للعروبة والاسـلام ؟

ان خصوم محمد حربى هم الان قادة الحكم بالجزائر وما علمنا انهم عارضوا السياسة الاشتراكية المطبقة بالقطر الشقيق . بل انهم يتعاونون مع محمد حربى فى اجهزة الحزب والحكومة ولم نسمع ان الخلاف بينهم ادى الى القطيعة . وحتى الصحف الفرنسية المذكورة التى تحدثت عنهم لم ترمهم بالرجعية وكل ما قالت هو انهم من انصار الاشتراكية العربية ومن المتشبثين بالروح والمبادىء الاسلامية . واذن ، فيكون ذنبهم هو اعتزازهم بعروبتهم واسلامهم واعتقادهم بأن الاشتراكية يمكن ان تتحقق تحت راية القرآن .

ومن هؤلاء «الخصوم» كما هو معلوم السيد عمر اوزجان . وكفاحه فى سبيل الاشتراكية معروف منذ عشرات السنين ، مما يغنيه عن تلقى الدروس فيها من اى احد . ولعل السيد برادة لا يجهـل أن له كتابا حديثا عنوانه «الكفاح الافضل» . وكان من واجبه وهـو يصدر هذه الاحكام القاسية ، على رجال مناضلين ان يحلل لـنـا الكتاب على الاقل ويبين لنا ما فيه من افكار رجعية ، بدل ان يكتفى بالتأكيدات المجانية ، او ان يأتينا باى دليل آخر معقول وملمـوس لتأييـد دعـواه .

من هذين المثالين يتبين لنا ان الكاتب حينما يقدم على المقارنات، فهو ينسى المنطق ولا يطالب نفسه بأى برهان وينساق وراءها وكأنه يلهو ويلعب للترفيه عن نفسه ولا يخطر على باله انه يتحمل ايـة مسؤولية اخلاقية حينما يوزع التهم جزافا .

ومن قبيل المغالطة ما نسبه الى زورا من كونى تحدثت فى مقالى عن «ماركس» ، مع انى لم اورد هذا الاسم ولم اتعرض لمذهـب

الماركسية مطلقا . حقا ، ذكرت سارتر وجيد وكامو ولم الحق بهم ماركس لانى لا اضعه فى صفهم ولا اعتبره من جنسهم . فلماذا ، يا ترى يأبى السيد برادة الا أن يجعلنى تحدثت عن ماركس ؟ هل ليجعل بينى وبين الماركسيين خصومة لا مبرر لها ؟ ام ليخلق فرصة يحدثنا فيها عن هذا الفيلسوف واوليته ومن اين استوحى مذهبه الخ .. الخ ..؟ اللــه اعــلــم .

ومن قبيل التمويه اتيانه ببعض الحقائق المسلمة ليقدمهــا للقراء وكأنى لا اومن بها واجادل فى صحتها . فالسؤال الذى يلقيه فى مقاله : « هل بامكاننا ان ننشىء حضارة خاصة بمعزل عن الحضارة العالمية ؟ » تعرضت له ولو بصورة موجزة فى مقالى السابق . ولعله لم ينتبه لهاته الفقرة التى اوردها بالحرف :

« حقا ، اننا كجزء من الانسانية لا بد ان نسير مع ركب الحضارة العالمية وان نماشى التطور الذى عرفته الشعوب الناهضة . ولكن هذا لا يستوجب منا مطلقا ان نربط مصيرنا الفــكــرى بالتجاريب القومية الجزئية التى مرت منها بعض الامم الاروبية ، بلغت مــا بلغت من ابداع فى الفن وازدهار فى الثقافة . »

فلماذا يحاول ان يخلق الخلاف حيث يوجد اتفاق ؟

اننا متفقون معه على ضرورة مسايرة ركب الحضارة وعــلى أنه من واجب الشعوب المتخلفة ان تاخذ اشياء كثيرة عن الشعوب المتقدمة وعلى ان عصرنا عصر العلم والنمو الديموغرافى وعلى ان تعلم الاشياء افضل من جهلها وعلى ان الاقطار المتخلفة يجب ان ترفع مستواها وعلى ان الطريق وعرة محفوفة بالاشواك والاخطار وعلى ان كل من سار على الدرب وصل . وما دمنا متفقين على افكار كهذه فيجب ان نتفاءل بالمستقبل خيرا !

وانى اتساءل فى آخر هذا المقال هل كان من الضرورى ان يحمل السيد برادة نفسه على هاته الراحة الشاقة فيغشى كل الميادين ويستعمل كل الوسائل ويلجا الى كل الحيل والالاعيب ، ويدخل فى كل المضايق ؟

لقد كان موضوعنا واضحا محددا . وكان فى مقدوره ان يناقشنى فى بعض الافكار التى ذكرتها حقيقة ، وكنت مستعدا لقبول الملاحظات التى لها مساس بالمسالة ، لاننا فى هاته المشكلة المطروحة امامنا لم نعد طور البحث والتنقيب . نعم ، هنالك حقيقة اومن بها ، وهى ان ادبنا لا بد من ان يعودا لى المجتمع ليتجاوب معه ويكون مرآة له وملتقى لمشاعره وافكاره واحلامه ومطامحه . صفحات تتجلى فيها افراحه واحزانه وغضباته وعزماته واستسلاماته . اى ادب كله التفاتة الى هذا العالم الذى يطفح حولنا حيوية ونحن لا نتنبه اليه ونوليه ازدراء واستصغارا لاننا نريد ان نفكر ونعيش كما يفكر ويعيش الشباب البورجوازى فى اوربا الغربية ،

ولعل هذه الفكرة لا زالت فى حاجة الى توضيح وتحليل وربما عدت اليها فى مقال قريب ، لاننا لم نر بعد كل العناصر التى تدخل فى الموضوع ولم نطلع على تجارب الامم الاخرى فى مثل هذا الموضوع ولم نستمع لاراء كبار المفكرين فى العالم حينما تعرضوا لهاته المشكلة. والواقع اننا لم نفعل لحد الساعة شيئا اكثر من ازاحة الستار عن الصورة الاولى التى يتراءى فيها وضعنا الثقافى بخطوطه المريضة والعامة .

وحتى لا يطول انتظار القراء ، يكفى ان اشير فى الاخير بشىء من الايجاز الى النظرية التى بسطها «سارتر» فى المجلد الثانى من مجموعته النقدية «وضعيات» والتى خصصها للبحث فى ماهية الادب.

وسارتر ان كان يعتبر الكاتب حرا ويضع حريته فوق كل شيء، فانه يقابل تلك الحرية بالتزام كامل . فهذه الحرية لا تمنحه الحق فى ان يفر من العالم الذى يعيش فيه ليظل محلقا فى سماء المثل والمبادىء الخالدة . بل انه احب ام كره ملتزم مع الوسط والعصر اللذين يحيا فيهما . نعم ، هنالك كتاب بورجوازيون لا يفرقون بين الناس فى مختلف وضعياتهم فيخلطون بين الطبقات والشعوب ويتحدثون عن الانسان التجريدى ، الانسان الكونى . وهذه النظرية التجريدية ينبوع اخطاء متعددة . ولذلك فالكاتب ان اراد ان يقوم بدوره الحقيقى ، فعليه ان يعود الى وضعه الملموس فى الزمان والمكان وبدل ان يتحدث عن الانسان الكونى للقارىء الكونى ، يلزمه ان يتحدث عن الانسان الذى يراه ويعرفه لابناء عصره القريبين منه. وهو فى هذا السعى الى الحقيقة المفردة الخاصة قد يرتفع الى قمم الفن العالية وقد يبلغ مستوى الخلود . ومما يقوله سارتر فى هذا الصدد :

« اننا ابعد ما نكون عن نظرية النسبية ونؤكد بقوة ان الانسان كائن مطلق . ولكنه كائن مطلق فى ساعته وفى بيئته وارضه .. ولن نكون كائنين مطلقين لاننا سنعبر فى كتبنا عن بعض المبادىء التى بسبب تجردها وفراغها تنتقل من قرن الى قرن ، ولكن لاننا سنكون كافحنا بحماس فى عصرنا ... وبالجملة ، ان نيتنا هى ان نساهم باحداث بعض التغييرات فى المجتمع الذى يحيط بنا .» (وضعيات ٢. ص ٥١ )

ويقول فى فصل آخر مبينا ان الكاتب لا يفيد شيئا اذا وجه خطابه لقارىء كونى ليحدثه عن الحقائق الكونية والقيم الخالدة :

« إن هذا حلم فارغ . فالكاتب ، ولو كان يفكر فى نيل الخلود يخاطب ، احب ام كره ، معاصريه ومواطنيه واخوانه فى السلالة والطبقة » ( وضعيات ٢ ص ١١٧ ) .

ـ واظن ان فى هذا القدر كفاية وساعود الى الموضوع لا لاتمثر فى مناقشة جديدة وعقيمة ولكن لاواصل الحوار مع القراء المتواضعين الذين لا يدخلون لزوما فى صفوف «الاقلية الفعالة» .

# النغم الحبيب

للشاعر السورى محمد احمد حيدر

ما اروع النغم الحبيـ — ب بوحشة الليل الرهيب
ينساب كالحلم الجميل — السم فى السق وطيب
نغم يمر على البعيد — كما يمر على القريب
نغم كأنسام الربيع — وعودة الحق السليب
نغم يمر على القلوب — برقة الثوب القشيب
نغم عجيب ساحر — الله من نغم عجيب
ما سطرته يد الانا — م .. ولادحاه نهى اديب
كلا ولا اخراجه — اخراج فنان اريب
نغم اتى فيه الجماد — فجاء بالنغم الغريب

لا ســاعــد عزفــت ولا          وتــر يشــد الى قضيــب
نغــم ( النواعير ) التــى          دارت على المــاء الصبيب
ملك ( النواعير ) انطلقــن          يــدرن فى فلــك رحيــب
فكأنهن اضعــن فى ( العا          صى ) مــن الامــد القريب
خدنــا . فــراح انينــهن          يثيــر اشجــان اللبيــب
آماقــهــن مــن البكــا          ء تقرحــت رغم الطبيــب
والقوص اصبــح دابهــن          من المغيــب . الى المغيب
لا العمر افــنــى عزمهــن          ولا مــتــابعــة التحيــب

سورية ـ حماة ـ

محمد احمد حيدر

## قصة:

# النظافة !

فى الطريق الى المطار ، كانت تتنازعه احاسيس شتى وعواطف شتى انه يعلم جيدا لماذا يسافر الى مصر ؟ سوف يدرس فى الازهر فيتم علومه ولسوف ينعم بالراحة والهدوء بعد الجهاد المجهد فى دراسة علم الله كيف سهر لياليه .. وكيف بذل خالص صبره وانتظاره ومسعاه ، لعله يتمتع يوما ولو بدقيقة واحدة من الغبطة العميقة والسرور الذى ند عن الوصف ..

كانت ترافقه ثلة من رفاقه ، منهم من سوف يتم الرحلة معه ومنهم من سيؤوب الى اهله ، مسهما فى وداع صديق عزيز .. وكان الرفاق يمازحون صبحى مزاحا خفيفا وثقيلا .. ولعلهم اذا علموا انه مبحر على متن الريح . ولسوف يغيب سنتين ، فانهم لا بد من ان يبعثوا معه بخلاصة وافية من مزاحهم وعبثهم البرىء وضحكاتهم ..

يا اله كم تبدو الحياة جماعية .. بين اصدقاء يعرفون للصداقة قدرها ويحفظون للصديق اسباب الوداد جميعا ..

اما هو ، فانه وان كان يضحك احيانا او يبتسم اذا كان لـــم يستطع الى الضحك سبيلا او يرد على صديق اراد ان يغلظ له فى القول البرىء او يحتفظ فى تقبل الدعابة الرقيقة التى ساقها صديـــق آخر ، فانه كان يشاركهم مشاركة سطـــحيـــة اذا لم تكن ضحكاته تنبعث من قلبه وما كان سروره الا تكلفا ..

انه فى سريرته مخلص لهم ودود اليهم ، حفى بهم . يكن لهـــم ابلغ حب واخلاص ، ولكنه اليوم .. وفى هذا الوقت بالذات ، لا يستطيع ان يضحك بملء قلبه كما يضحكون ولا ان يتحدث بطلاقـــة كما يتحدثون جميعا ، بل كان فيما بينه وبين نفسه يفكر ويتأمل ، تفكيرا رتيبا وتأملا باردا لكثرة ما فكر وتأمل ، انه سيذهـــب الى مصر ... وينزل الجامع الازهر .. ويتم علمه ، ولسوف يعود .. ولكن هل استطاع ان يدقق فى الطريق التى اوصلته الى الازهر ؟ هل اختارها .. وهل وقف على مفرق الطرق .. كما يقف اكثـــر الناس حين يسهمون فى اختيار مستقبلهم بعد تمحيص ودرس ؟.. انه وان كان لا يستطيع الانتقاء وكذلك اكثر من كانوا فى مثل ســـنه ولكن الا يستطيع اهله واهلوهم ان يساهموا مساهمة جديـــة فى اختيار الطريق الانسب لاولادهم ، دون ان يروا انفسهـــم مجبرين على انتهاج السبيل التى تفرضها حادثة ما ، غيرت مجرى حيـــاته او حياتهـــم جميعـــا ؟!

دخل الكتاب لبن ست سنين ، وما زال فيه حتى خرج وقـــد طوى القرآن الكريم فى صدره .. وكان اهله ذوى سعة ويسار ، فافاضوا عليه من الرزق الحلال ، ما يمكنه ان يعيش سعيدا مرفها،

فارادوا ان يزوجوه فى سن مبكر ، ولكنهن قلة اللاتى قبلن الزواج به .. ان امه لا تحدثه عن رفضهن ولكنه يعلم سبب الرفض . ويصر على انه هو السبب الوحيد وليس غيره من الاسباب التى تدعيها امه .. وقد يشركها ابوه فى ادعائها .. بينما العبرات تختنق فى الضاير .. على مقربة منه .

ثم ادخلوه الكلية الشرعية ، بعد انقطاع دام اكثر من ثلاثة اعوام فلمع ذكاؤه ، وظل يتنقل من صف الى آخر حتى انهاها جميعا .. وها هى ذى الكلية ، ممثلة فى عمادتها ، تختاره من بين طلابها وخمسة آخرين معه لبعثة دراسية الى الازهر الشريف مدتها سنتان .

وعاد يسأل نفسه ذات السؤال الذى حيره ، لماذا لم يكن مثل الاخرين اولئك الذين اختاروا مستقبلهم بعد دراسة وتقليب اوجه الرأى فيه ، وحدهم او بمعونة ذويهم .. الا هو لم يستطع ان يقلدهم وان يكون انسانا وسطا مثل سائر الناس يشتهى ما يشتهون ، وينتخب ما ينتخبون لانفسهم من المباهج والمسرات .. هو الان يثق بانه لو خير فى انتقاء مستقبله لما اشتهاه الا على هذه الصورة التى يتسربله بها شيئا فشيئا .. ولكن مسألة الاختيار عن بصيرة . هذه هى عقدة النقص فى حياته . وليس ما عداها فلقد وجد مستقبله امامه لا يستطيع ان يتحول عنه لا قليلا ولا كثيرا .. كان عليه اذن اما ان يقعد فى البيت فلا يخرج منه الا قليلا فى الصباح .. وقبيل الغروب او ان يذهب الى الكتاب فيحفظ القرآن الكريم ثم يدخل الكلية الشرعية ، ثم يذهب وحده الى مصر .. او ترسله الكلية فى بعثة رسمية تنفق عليها الدولة ..

كان هذا النوع من الجبرية يستطيع ان يستسيغه بسهولة وان كان قد قرا كثيرا وسمع كثيرا وحفظ القرآن فالهمه ذلك كله ،

ان الانسان فى هذه الحياة انما هو ابن ساعته وظرفه وبيئته .. وان هناك قوى علوية ، توجه هذا الخليط البشرى وتجعله اشبه بالدمى التى تحركها الخيوط المعلقة .. فى يد كبيرة ذات اصابع متعددة .. مجهولة القدرة ..!

وفى المطار ، خفت قليلا حديث الرفاق المودعين وكذلك بكاء الامهات والاخوات اللاتى جئن لوداع ابنائهن واخواتهن . وانصرفت الابصار الى ارض المطار ، والى سمائه ، راصدة هذه الطيور السابحة فى الهواء ، متأملة ببلاهة . سائلة دون ان نسير غور الحقيقة بسؤالها :

ـ كيف توصل الانسان الى اختراع ذلك كله ؟..

وما هى الا دقائق حتى كان صبحى ورفاقه الخمسة يصعدون سلم الطائرة ملوحين بايديهم لمن تخلف من المودعين كما لوح بقية ركابها لمودعيهم ، ثم اقلعت الطائرة من الارض بعد ان درجت قليلا كعادتها على ارض المطار ..

انكمش صبحى على نفسه ، لعله خائف ولكن الاعمار بيد الله ، انه لـ ميخف ، وقد تكون بعض الرهبة من هذه الطائرة ، التى يركبها فى حياته لاول مرة ..!

وفيما اخذ ركاب الطائرة يتأملون الدنيا من نوافذها المطلة على العوالم القصية .. كان صبحى منكمشا على نفسه .. تتنازعه خواطر عميقة اثرت فى حياته تاثيرها الظاهر .. وقد اطرق براسه حتى اوشك ان يسقط عن رقبته فى حضنه وكاد يغلبه البكاء ولكن مهما بكى فان دموعه قد لا يراها الجميع . يكفى ان يراها هو بنفسه ما دام يحس بها عندما تحرق حبات الفؤاد الصابر الحزين .. وتمتم فيما بينه وبين نفسه :

ـ يا لك من مسكين يا صبحى .. يا لك من ضحية لعمتك الجاهلة .. تعسا لقلبها الغليظ .. وتعسا لحياتك فى جنة الحياة الدنيا التى خلقها الله متعة للناظرين .

دق الباب دقات خفيفة توحى لسامعها ان الكف ، كف امرأة، فهمت ام صبحى ، تفتح الباب لشقيقة زوجها مرحبة بها ، بينما كانت العمة تحاول ان تحضنها ، مالئة وجهها الجميل بقبلات ذات فرقعة علها ترشف من عسله ما يبعث فى اوصالها بعض الدفء والحيوية ..!

حاولت ام صبحى كثيرا ان تدخلها غرفة الاستقبال . ولكن العمة تمنعت تمنعا صادقا .وبينما كانت تقسم الايمان المغلظة معللة تمنعها ذاك بأنها تريد الذهاب الى الحمام ، كانت تعرض على زوجة اخيها ــ ام صبحى ــ ان ترتدى ملايتها على عجل ، وتخطف صبحى من سريره وصبحى يومئذ ابن ستة شهور ، ليقضيا امسية من اماسى الخريف الحلوة فى حمام الافندى ..

اطرقت ام صبحى براسها تفكر .. اتذهب ؟.. ولكنها يجب ان تنتظر زوجها الذى سيعود اليوم مبكرا على خلاف عادته ، حيث ينتظر اصدقاءه ليذهب واياهم الى حفلة مولد عند ابى فاضل ، ام انها تعطيها صبحى فتعتنى به وتغسله ، بينما هى تستطيع ان تخطف دقائق معدودة فتعود به ، وقد تخلع ثيابها عندئذ لتسكب جرنا او جرنين ، فتغدو وابنها ، كوردتين غسلتها امطار الربيع ..؟!

وفيما كانت ام صبحى تسائل نفسها مثل هذه الاسئلة التى لا تغنى فاطمة ــ عمة صبحى ــ اى غناء كانت العمة تختطف صبحى من سريره وتحتضنه كان بارزا قد اختطف حمامة بمخلبية .

مضت العمة الى الحمام تحمل بيد صبحي ، وتحمل بيدها الاخرى صرة فيها بعض الثياب وسلة صغيرة وضعت فيها بعض البرغل وثلاث بصلات وقرنين من الفلافلة الحمراء .. اتكون الحمام مدعاة للمسرة ، دون الكبة النية ؟.. لعلها لا تكون كذلك .. هكذا تعتقد فاطمة عمة صبحي التي حرمها الله من الزواج ، فحرمت من نعمة الاولاد ..

وفي الحمام ، خلعت فاطمة ثيابها كالعادة ، وكذلك فعلت بصبحي فأخذ يبكي بشدة ولعله للمرة الاولى في عمره القصير ، يبكي مثل هذا البكاء .. واندفعت عمة صبحي كالمجنونة الى قلب الحمام واخذته في حضنها ، ثم فتحت حنفية الماء الحارة وحدها واخذت في افرا غ الجرن تلو الجرن ، عليها وعلى صبحي بالتبعية ، مع صابون وبيلون وكيس للتفريك ومضى عليها اكثر من ساعة وهي تعالج نفسها وتعالج صبحي معالجة قوية لا قدرة له على احتمالها ثم عافت نفسها وعافت صبحي بين حي او ميت وهمت بالبرغل تنقعه وبالبصل تدقه مع الفلافلة ، واخذت في جبل ذلك كله بعضه على بعض .. انها تريد ان تأكل الكبة النية قبل ان تقعد امام الجرن قعدتها الاخيرة والمهمة حيث تأخذ بأسباب النظافة سببا سببا !

دق الباب مرة اخرى ، انها دقات ابي صبحي فهرولت ام صبحي تفتح الباب .. انه ابو صبحي بالذات ماله اليوم يبدو متعبا، اخسر كثيراً ام ربح قليلا ؟.. حاولت ان تسأله مثل هذه الاسئلة .. ولكنه لم يمنحها الفرصة ، اذ لم يبتسم كعادته ، ولم يمازحها ولم يداعبها .. ولكنه بعد ان تناول عشاءه مبكرا في تناوله .. حدثها عن صديق عزيز له ، توفاه الله اليه ..

وفى خلال نصف الساعة التى مضت على حضوره ، سرى من نفسه فسألها عن صبحى انائم هو ؟.. ولكنها ببلاهة الام الطيبة اجابته .

ــ لقد اخذته عمته فاطمة معها لحمام الافندى .

ــ منذ متى ؟..

منذ ساعة ونصف على ما اعتقد كاد ابو صبحى يختنق بالخبر فلقد غص به وامتقع وجهه.

.. وهم بأن يقذفها بكل ما حوله ، ولكنه ضبط نفسه واراد ان لا يضيع دقيقة واحدة فى العتاب والصراخ .. فامرها ان تلبس معجلة ، وتتبعه الى الحمام . وبينما كان على باب الحمام يصرخ بصاحبته . بعد ان وصل راكضا ، ان تخرج اليه ، كان الناس يلتفون حوله ومنهم مصدق ومنهم مكذب فى ان يكون عقل ابى صبحى اصابه الخلل .. وما هى الا دقائق حتى كانت ام صبحى تدخل الحمام .. وتهبط درجها ، لتخطف صبحى من حضن عمته التى اوشكت ان تفرغ من جرنها الاخير !

كان صبحى قطعة شبه ميتة ، تنبض نبضا خفيا ، وقد انقلب لونه الوردى الاصيل الى زرقة عميقة لا تشبه وكانت زرقة عينيه المخضبتين بالدم الاسود ، تكاد تغطى على زرقة جسده الواضحة .

لم يكن الطبيب ذكيا جدا ، كان متوسط الذكاء ، ولكنه بمجرد ان رآه وراى حالته البائسة سألهم :

ــ اكنتم تغسلونه ، ام كنتم تطبخونه فى قدر كبير ؟.. كيف تسمحون لانفسكم بابقاء مثل هذا المولود الصغير ، ساعتين فى حمام

.. علم الله ما هى درجة الحرارة فيها ، وقدر سخونة الماء المتدفقة من اجرانها ؟.. وببساطة مؤثرة ، قال لابى صبحى ، ذلك الاب الذى تهدم مرة واحدة :

ــ يا عم .. اذا كنت تقبل بأن تكون ابا لولد فاقد البصر .. فاحمد الله كثيرا ، انك قد انقذته قبل ان يموت ..!

.. وكبر صبحى .. اعمى .. ودخل الكتاب .. وخرج منه .. وها هى الكلية تحاول ان ترسله الى الازهر .. وها هو الان فى الطائرة يمشى فى طريق الحياة مبصرا بالحدس .. كما تبصر هذه الطائرة طريقها ..

علـــى بـــدور ــ حلب ( سوريا )

# ايار والايتام

للشاعر عبد القادر القط

جاء ..
كلاب نبحت لرؤيته
وملء مقلتيه ،
يمتص خطاه رجاء ..
تحدوه ذرات غبار
لسعها لهيب شمس .. هباء
خطواته غضبى
بين طياتها الحبلى جفاء
وخفاء ..
وعراء .. لو يختفي العراء .
هكذا جاء ..
من حيث لا ندري جاء

لاهــثـا يــطــرق الــدرب
دروبنـــا عقيمـــة بـــلا ضيـــاء
خضبتهـــا عيـــون قبرهـــا العمـــش
وباليـــاس تلهج السمـــاء
هـــذى الســـمـــاء .
كـــان ينفـــض الغبـــار
هـــذا الغـــريـــب
ومـــن الغبـــار ضفر الكـــســـاء
ومـــن بريـــق محجريه نسج الـــرجـــاء
لـــو ينفـــع الـــرجـــاء !.

× ×

هنا .. ببـــاب الخيمـــة العطشـــى
حـــدثـــنـــى . .عـــنـــهـــم ..
عـــن ينبـــوع فياض غـــرق فى العناء
عـــن ليمونـــة نخرها الـــدود
فى نـــضـــارة الشباب ..
هم عبوا فى الفيافى يلتهمون الشقاء
لـــو طـــاب الشقـــاء .
حـــديـــثـــه اخـــدود غـــائـــر
يستـــد جمجمته فى الخـــلاء ..
والـــحـــداء ..
داســـه عـــنـــوة ايـــار
فى خـــضـــم انتصـــار

خـمسـة عشـر من جـنـوده كانوا يتبعونه
بـلا وجل ..
بـلا خجـل .. نهشـوا القلوب بانـدحـار
نسـاء .. ارامل راينهم من الكوى ..
كـن ينتحبـن
شهقاتهـن تلـف انتحـار
وقلمـا .. انتظـار

××

الـغـريـب قـام
يسجد امـام الجموع فى خشـوع
قلبـه الولـهان مستضام
لـوتـه الريـاح
والليل طـواه وناشـزات الانغام
قضمتـه عقـارب الساعـة ..
ولـى .. غرقـت سفينته
فى بحيـرة العبرات .. انتحـر السلام .
آه ! لـو يعـود ..
لـو يعـود الغريـب ..
وفى السلاسـل ايار يقوده الايتام !!

عبد القادر القطا ــ الدار البيضاء

# ماذا عن رواية
# «الاحمر والاسود» ؟

للباحث الفرنسى : روجى ريجى

ترجم البحث بصرف : سعيد سوسان

ليست «الاحمر والاسود» ثمرة خيال الروائى ، وانما حفر ستندال ينابيعها من قضية كان لها دوى الاثر فى القرن التاسع عشر. فى سنة ١٨٣٠ ونوفمبر الشاحب يبسط الوانه الرمادية فى كل مكان ويحيله باهتا جافا ، ظهرت بالمكتبات رواية لستندال تحمل عنوان «الاحمر والاسود». لم تحظ باية عناية بادىء الامر، وكان عليها اذن ان تلفت شيئا فشيئا اهتمام جمهور رحب . اما الرواية الآن ، فتعتبر فى عرفان الجميع من تحف آدابنا ، ونادرا ما تجد من لا يعرف جوليان صوريل وما دام دورينال الفاتنة ، وماتيلد دو لامور ، والنهاية التراجيكية التى آلت اليها المغامرات الغرامية بطلقة من مسدس المذنب.

وفى اولى صفحات كتابه ، كتب ستندال هذه الكلمات : «الحقيقة، الحقيقة المرة » . كلمات ليس هناك ما بفوقها تعبيرا . وفى الواقع ، قصة جوليان صوريل التى غير منها كثيرا وبمشقة بالغة ، هى قصة شاب يدعى « انتوان بيرتى » . وهذا الاسم يكاد يكون منسيا فى زماننا، الا أن وقعه التراجيدى تحمل نفقات المحادثات حوله فى ضاحيـــــة «كرونوبل» ابان دراسة القضية سنة ١٨٢٧

## • بطـــــل روايــة

ولد انتوان سنة ١٨٠٠ من اب يقطن ببلدة صغيرة فى «برانك». دون جدال كان على الابن أن يتعلم حرفة أبيه مصلح حوافر الخيل . ودون جدال كان عليه أيضا أن يعيش حياة حالكة لكن سعيدة ، ان لم ينسج منه القدر فتى ذا صحة أنيقة ووهبه ذكاء نفاذا سابقا لاوانه .

وكان راعى برانك القس فيال يكن للمراهق الوانى عاطفة ابوية متأججة . جاء الى ابيه يوما قائلا :

— سأهتم بنفسى بأنتوان .. سأجعل منه شحصا آخر .. سأجعل منه عالما يكسب قوته .. هذا ان وافقت طبعا ..

وفى الحين أعطيت الهدية . وفى عَجل دائب وتحت توجيه القس الرشيد ، شرع انتوان ينهل من منابع الثقافة فى نهم كبير . ولم يكن قد مضى وقت طويل حينما اظهر ميولا شديدة الى الاداب واللاتينية والتاريخ ، كما ظهر احد واقوى فى العلوم الطبيعية .

كان من الطبيعى أن يفكر القس فيال حينما اتم انتوان ربيعه الثامن عشر ، بأن يلحقه بمدرسة عليا يخطو فيها خطوات اخرى من مرحلة تعليمه . فاشترى له ثيابا غلفها فى حزمة ، ورافقه بنفسه الى كـــرونوبـــــل .

فى مدرسة المدينة ، والى انتوان بيرتى نشاطه كما بدا فى اعين زملائه واساتذته طالبا مجدا وهاوى علوم . ثم ، شرعت طبيعتــــــه

تتغير وتحتد . كان شهما ، فخورا ، طموحا ، ذا همة خارقة . وفى الحين ذاته كان كئيبا صموتا ، كانت تنتابه عواطف نابية من احلام ومخاوف تردى وجهه النحيل شاحبا مخيفا . لذا ، ارتيب فى امره ، واحتار الناس عما يكون سبب الانهيارات العصبية التى كانت تصيبه ، حتى ان اساتذته كانوا يعتبرونه عينا جافة من اية رحمة او تسامح . وفى سنة ١٨٢٢ حينما سقط طريح الفراش ، انقطع عن الدرس وقتا طويلا ، فاغتنم مدير المدرسة الفرصة ليلقى به الى الخارج .

لم يكن انتوان غير راض عن هذا الطرد الغاشم ، اما والده فلم يأخذ منه النبأ اى وقت للتفكير . اذن ماذا ؟ استقبله ابوه فى تجاف ، لا لشىء انما لكونه ضعيف البنية وغير قادر البتة ليستخدم يديه فى شىء يفيد ، خاصة وان الاب هو الذى سيتحمل نفقات معاشه ، فأشبعه تانيبا ولوما ، وقرأ على مسمعه محاضرة جافة .

مرة اخرى تدخل الاب فيال ، ولم يبحث كثيرا ليجد لانتوان وظيفه مؤدب فى اسرة من الناحية ، بفضل الدراسة العليا التى حظى بها المراهق . كانت الاسرة تضم السيد لويس ميشو وزوجته ايلالى واطفالهما السبعة . كانوا يقيمون جميعا فى منزل بورجوازى بضواحى البلدة .. منزل بورجوازى جدا .

كان السيد ميشو رجلا شما ، يقرب من العقد الخامس ويملك اراضى يستغلها لفائدته . كان ذا حيطة بالغة ، ويعيش بكل ذاته وطاقته للمال ، وللاهتمام بأى شىء يدر له المال . اما زوجه ، فأصغر بخمسة عشر سنة . كانت ذات جمال فتاك ، غير عادى ، وما من شك انها لم تجد فى زواجها ما تهفو اليه فتاة فى سنها ، لكن تحت ضغط مصيرها المحتوم ، وافقت منذ امد بعيد انها لم تعد تكن لزوجها اية عاطفة . وازداد مدى الجفاف بين الزوجين حين انعزل كلاهما فى غرفة تخصه .

كان الزوج اول من راى ضرورة تعليم ابنيه الاكبرين : جبرائيل الذى كان سنه حينئذ اثنتا عشرة سنة ، وجوزيف الذى كان قد اتـم السابعة . الا يليق اذن احضار مرب الى بيته ؟ واى مرب هذا يكون افضل من الذى اختاره الاب الطيب فيال ؟ . .

وانتهى الامر فى ايام قلائل ، ونزل انتوان بمنزل آل ميشو وهـو يشعر انه بفضل الاب فيال تخلص من ضيق وقهر المدرسة التى كـان بها . وفى حينه اظهر المؤدب الشاب كفاءته ونبوغه وخفة روحه ، وفى حينه تعلق الاطفا لبه واحبوه .

كان مسيو ميشو يذهب بعيدا فى قضاياه ليغيب عن البيت اياما كاملة . فى هذه الاونة ، رغم سنها الذى كان سيناهى الاربعين عما قليل ، ورغم كونها اما لسبعة اطفال ، نبثت المراة البئوس شابـة المظهر ، حلوة الذوق ، خفيفة الروح ، رقيقة الشعور ، حالمة الجفون كان محياها دقيق الملامح ، شاحب البشرة تتدلى منه خرقات سوداء كانت تزيده رهبة وذبولا ، وتحت سدول جفنيها الـرقيقـتيـن ، كانت عيناها القرمزيتان ترسلان على الاشياء نظرات مثلوجة . واهتزت ذات انتوان كليا فى شعور مبهم رهيب .

كيف ليعيش دون قطيعة مع تلك المراة وتحت سقيفة واحدة ؟
وبماذا يمكن تفسير انها كانت تاتيه خفية فى فترات استحمامه ، وتغرقه بابتسامات ونظرات يكذب أنها من ذلك الوجه الاصفر الذابل ؟

واى شىء راته فى ان ترافقه لسهرات طويلة تحت ظل الفانوس المسترق ، وفى جو ليس الا للعاشقين ؟

لم يطق انتوان اقناع نفسه بانه وقع فى شباك سحر عينيها ، وبرود بسملتها ، وغموض تصرفاتها الا بعد لاى . لقد احبها بكـل مكنون قلب لم تسمع نبضاته بعد . لكن كيف السبيل للفت نظرهـا الى هذا الحب الوليد ؟
ببسمته ؟ بنظراته ؟ باضطرابه ؟

الا ان ما دام ميشو لم يفتها الامر ، فحبها للفارس المرتقب كان يوشك ان يعيد لخديها حمرتهما ، ولعينيها بريقهما ، ولفؤادها الدفء والسعـــادة .

كان انتوان اسمرا ، ورغم ملامحه الغريبة فقد كانت رائعـــة الانسجام ، مفتونة بسحر خلاق مبدع . وبصمته الرهيب ، وطبعـــه الكتوم ، وقوامه النحيف ، رأت فيه ما دام ميشو فارس احلامها الذى كانت تترقبه ، وتفتح له ذراعيها لوجاء . وهو بالفعل قد جاء ، انما تأخر عن موعده زهاء عشرين عاما .

وفى فترات انعزالها ، كانت مادام ميشو تضع نصب عينيها المؤدب الرشيق حيال زوجها البشع النذل الذى اختاروه لحياتها وسعادتها . زوج ، اية عاطفة روحية ، هو هارب عنها ، وشبح وجهه لئـــلا يعود قلبه الصلد كلاما فارغا يشغله عن أعماله ومشاريعه الكبرى .

اذن ، ففى يد هذا الشأن سعادتها ؟

واذا الزوجة بادىء الامر تبدى للشاب حنانا اموميا . لكن ، هل يمكن ان ينقلب هذا الشعور البسيط مع الايام الى عاطفة متأججة ؟ ممكن . الا انه حين دراسة القضية بمدئذ بكرونوبل ، حصرت أسرة ميشو همها للدفاع عن شرفها ، ولعمل اللامستطاع لابادة اية تهمة توجه الى ايلالى ، الزوجة الفاضلة .. الوفية .. المثالية .

بيد هذا كله، فاعترافات انتوان نفسه عن كل علاقة كان العاشقان بطليها اماطت اللثام عن كل غموض مبهم ، وبدت ادلته كافية للاقناع والتحدى . فانتوان ، الفتى الوسيم ، الا يرى أنه لمن الميسور لمثله — وكل ما بالبيت يساعده — أن يرتمى بدفء روحه بين احضان ايلالـــى الفاتنة ، يذيب حبه الوريق على صدرها المورد ، وينهل بشره حرمانى من اسرار ذاتها ودفائن قلبها ، فغياب السيد ميشو عن البيت لفترات طويلة ، وانعزاله فى ركن بعيد ، وموقع الحجرتين المخصصتين لايلالى والمربى الشاب حذاء بعضهما ، لا يفصلهما غير حاجز ذى بـــاب

يفتح الحجرتين ، الا يكون كل هذا حافزا قويا لعاطفتى الجارين كى يسطوا على الباب ، ويلتقيان على غير موعد ويتحديان فارق السن ، وقدسية الزواج ، وتأنيب الضمير ، وقسوة القانون ؟

ومر عام كامل ، والسر مدفون لم يفطن اليه احد .

وكان يوم ولا يدرى احد ، اهو الضجر الذى دفع ايلالى الى ان تحدث زوجها فى شأن ابعاد المؤدب عن البيت ، ام هو الزوج نفسه اخذت — عن طريق ما — تنتابه الشبهات فى وجود انتوان بجانب زوجته، فقرر ابعاده عنها . وتحت اعذار مبتذلة سخيفة ، محتفظا ببواعث عزمه لطرده من البيت بعد ان ادى له اجرة عام كامل ، وكانت مائتى فرنك اخذ منها السيد ميشو اربعة عشر فرنكا ثمنا لقبعة .

واختير للاطفال مؤدب آخر . كان يدعى جاكان . دون جدال ، صودق على أنه لا محل للشبهات من جهته ، فأدى له رب المنـــزل قبعة جديدة وسروالا .

## • مؤدب خفيــف الــروح

عبثا بذل أنتوان قصارى سعيه للالتحاق بمدرسته القديمة . وحين رفض أبوه ايواءه ، قبل ضيافة قريبة عجوز الى حين وساطة الاب فيال ، وقبل ايضا بفضل وصية من مادام ميشو ، وجد وظيفا جديدا ، وظيف مؤدب بأسرة اخرى ربها السيد دو كوردون . كانت الاسرة تسكن قصرا بضواحى المدينة . وفضلا عن اطفال عديدين عليه تربيتهم كانت هناك فتاة فى ربيعها الثامن عشر . لا يدرى احد ما اذا كانـت جميلة ام لا ، وانما نشأت من والدين ثريين ، هذا يعنى أنه كـان من المنتظر ان تحظى بمهر تفتح الافواه لفحشه .

اترى الحب الذى جر من جديد الفتى الملتهب ام انه الطموح النارى الذى اشعل ذهنه ليرد به يود ان يتحد عزم رب البيت ، ويعقد زواجا ذا ذرية خارجا عن ورعه وقدسيته ؟ جدد انتوان مسماه لاغراء

الفتاة ، وبلغ مراده فى يسر متناه . لبثت علاقتهما تحتد فى خفـــــاء زهاء عام كامل ، حتى وضع مسيو دوكوردون يده على حقيقة امرهما، فطرد الفتى الجرىء غير آبه الى ضراعات ابنته .

كان على أنتوان بعد هذا الحدث ان يبحث عن عمل آخر الا انه كان غير راض ـــ وهو الذى يحسب نفسه اهلا لكل نفيس ـــ لكونـــه كان لا يجد غير وظيف : مائتا فرنك فقط هى اجرته . واثر خيبات آماله المتتالية ، شرعت طبيعته تحتد ، واخذت تصارعه نوبات عصبية قاسية وحين جلاء كل هذا ازاء عينيه ، بدأ يرى ان مادام ميشو ـــ دون غيرها ـــ هى المسئولة الاولى والاخيرة عن انهياره ووصوله الـــى هذه الدرجة الجنونية من الضجر والشراسة .

وفى تلك الاونة ، تحت باعث الحاجة لكسب قوته ، التحق فـــى يونيه ١٨٢٧ بمكتب السيد ثروايى كاتب عدلى بمدينة موريستيل جارة برانك ، هناك لم تكن توجد اية امرأة او فتاة لاغرائها . لذا ، لم يمض زمن وجيز حتى ضجر الشاب من عمله ، ودون موجب بين ، اخذ يتلفظ بتهديدات عنيفة غامضة .

ـــ آن وصولى الى قبة كنيستى ، تعرفون لماذا ! ..

لا احد كان يفهم ما كان يريده بقوله ، وانما كان الجميع يشفقون على الالم الذى كان يغشيه تصرفه الجنونى .. بيد ان المأساة لـــم تلبث طويلا كـــى تنفجـــر .

## • المأســـــاة

ذات مرة ، طلب انتوان الى مديره أن يقرضه بعض المال .

ـــ لا بد ان ينتهى هذا ، وانا الذى سانهيه !

اى شىء هذا ؟ لا احد كان يدرى ..

اخذ طريقه الى ليون . وصل اليها يوم ١٥ يوليوز . التقـــى بـــه احد اصدقائه وسأله فى جهور :

ـ امن اجل العمل اتيت الى هنا ؟
اجاب ببرودة :

ـ ابدا ! جئت لابتياع مسدسين اقتل مادام ميشو باحدهما واقتل نفسى بعدها ..

لما لم يكن من المعقول ان يصدق مثل هذه الدعاية السخيفة اضاف يقول :

ـ كنت مزمعا الاحد الفائت القضاء عليها بسكين كنت شحذته غير انه فى اللحظة الاخيرة طغت علي حيرة مريرة . الان قررت .. اخذت العزم ..

بعد هذا اللقاء اخذه ضلاله وسوء تصرفه لان يرسل من ليون خطاب تهديد الى ضحيته المقبلة ، بعدها عاد الى موريستيل مزودا بمسدسين اختارهما بعناية لدى بائع للاسلحة . وفى حديقة الكاتب الشرعي الذى لم يدر شيئا عن هذا الهوى الجديد ، شرع انتوان يتدرب على استعمال المسدسين .

كان اليوم احدا ، وبتاريخ ٢٢ يوليوز حين خاطب انتوان مديره ،
ـ سأتوجه حالا الى برانك .. أمر مهم ينتظرنى .. لا بد من ذهابى ..

حين وصوله ، تحسس موضعا تحت سترته ، وبعد أن تناول اكلة خفيفة فى فندق ، قصد لتوه الكنيسة .

كان الجرس الرهيب يدق ، وتتوالى دقاته رتيبة كئيبة تدعو الاوفياء لحضور الصلاة . دخل فى هدوء ، واختار مكانا وراء المقعد الذى كانت مدام ميشو تحب الجلوس عنده بصفوف ثلاثة . لم ينتظر طويلا ، اذ فى الحال بدت لعينيه الزائغتين ضحيته رفقة ابنيها : جبرائيل وجوزيف اللذان كانا فى يوم مضى تلميذيه وابنيه وعزيزيه .

بدات الصلاة . مكث انتوان واقفا مشدوها يعض شفتيه فى انتظار اللحظة التى يراها مواتية . وحينما بدا القس حديثه عن الايمان

والحب والسلام والخلود ، استغل انتوان انشغال الحضور بكلام القس، واخرج من سترته احد المسدسين وصوبه نحو مادام ميشو . بعد قليل، كانت منطرحة على الارض تتلوى .

انتهى ظن الآثم انها قضت نحبها فى حين انه لم يصبها الا بين كتفيها فاخرج المسدس الثانى ووضعه على راسه . لكن يده اعترتها رعشة قوية ، وزعزعها هلع فظيع ، فاخترقت الرصاصة فكه السفلى .

ووسط صراخ الهلع نقلت مادام مشيو الى مستشفى قريب . اما انتوان فلم يستطع ان يفكر حتى فى الهروب ، فحبس فى مكانه ، واحاط له احد الجراحين راسه بضمامات ، واخذه الحراس فى اليوم ذاته الى سجن كرونوبل .

## • حقيقـــة ام افتــراء

لم تلق هذه الجريمة اى دوى فى فرنسا اذ لم يذهب ضحيتها احد، فقد شفيت مادام ميشو من جرحها ، وكتب لها ان تضع مولودا ثامنا فى العاشر من يوليوز ١٨٢٨ ، ولم تودع دنيانا الا فى ٨ اكتوبر ١٨٣١

واتى يوم ١٥ دجنبر ١٨٢٧ وافتتحت القضية .

ضج المكان بحشد كبير من الناس اتوا ليشاهدوا عن كثب الشاب الجرىء . اخذ انتوان بيرتى مكانه بين حراسين . وعلى اثر صدى الجريمة البالغ فى ارجاء الناحية ، كان يخيل للحاضرين انهم سيشاهدون وحشا جسورا ترمى ملامح وجهه الضخم قذارة . كتب احد مؤرخى ذلك العصر يصف الجانى :

« كان المذنب فتى يافعا ، وكانت قامته دون المتوسط بقليل . كان دقيق الملامح ، ذا روعة فى انسجامها . كان وجهه محاطا بضمادات بيضاء عقدت عند اعلى راسه ، ورغمها ، فقد كانت سيماؤه تبدو بهية ، وشعره مسوى ناعما . كان الرائـــى لحاله يندهش للتناقض العجيـــب بين شحوبه وبين عينيه السوداوتين اللتين تشيان بآثار المرض والعياء»

شرع الكاتب يملى سند التهمة ، وفيها اظهر فصاحة قصـــوى للتشنيد بشيم مادام مشيو ونبل خلقها ، وحصر كل همه فى الصاق شتى التهم الدنيئة بالشاب المراهق ، واسناده نعوت كثيرة من المجـــون والرجس والتهور وفعل افحش الامور نينتقم لـــ « حب موان »

لبث انتوان مدة التلاوة جلدا ساكتا، لم تؤثر فيه اية كلمة نابية، او تهمة مبدعة قاسية . كما انه لم يظهر على محياه اى اثر للاضطراب حين سئل لتعيين اى المسدسين استعمله لهلاك المراة . وعندمـــــا قدم لاستنطاقه ، كانت اجاباته على اسئلة الرئيس واضحة معقولة ، ليس فيها التواء او غموض .

سالوه ، لماذا اردت ان تقتل ؟

اجاب : الحب والغيرة ، لا شيء غيرهما ! فمادام ميشو طردتنى من البيت لكى اترك امامها طريق المغامرة مع المؤدب الجديد الـــذى جيء به فى محلى .

كيف ؟ مسيو جاكان .. الهادىء العاقل .. الخلف الرزيـــن هل تجرا هو الاخر لاغراء المراة الفاضلة ؟ على اثر تصريح انتوان الذى كان يبدو مجرد نسيج من افتراءات واتهامات بالغة الفظاعة ، سرت فى الحضور موجة زاخرة بالغيظ والوجم . حتى النساء ، لم تأخذهن اية شفقة على المتهم المفترى وبلغ سخطهن عليه حدا كبيرا . ورغمها فلم تجد فيه تلك الغوغاء القاسية اثرا ، ولبث انتوان هادئا . زاغ ببصره يمنة ويسرة وصرخ بكل قواه :

ـــ انا نفسى لم اكن ادرى ان اليها توجهت فى سفرى . ففـــى الليلة الاخيرة التى قضيتها تحت سقيفتها ، اخذت ترجونى بالحاح كى اتسلح بالجلد . كانت تحتفظ فى غرفتها بصورة للمسيح ، وامامها قالت لـــى فى خشوع :

« امام هذا الرمز المقدس ، اعاهدك ، سأكون دوما لك ، لـــك وحدك .. سوف لا احب غيرك .. وسوف لا انساك ابدا .. ســوف

لبسعدك واهتم دوما بمصيرك » وهذا ما اردانى اثق فى وفائها . الا ان برودها — وانا اودعها — اوحى الى بشىء : لقد اصبح لابنيها مؤدبه آخر ، حينذاك فهمت . . فهمت انى استبدلت فى جميع الامور .

وعاد الضجيج يتعالى مرة ثانية مفشيا الحقد والغضب على انتوان ولم تهدأ ثائرة الحاضرين الا حين مثول الشهود . تقدم فى اول الامر الجراح الذى عهد اليه امر معالجة انتوان وضحيته، بتقرير امام المحضر اوضح فيه ان مادام ميشو بعيدة عن اى خطر ، وانها فى طريق الشفاء. تقدم بعده مسيو ميشو فى دوره العسير كزوج متهكم . اعلن فى ايجاز :

— ان كنت مضطرا لابعاد مسيو بيرتى عن البيت — رغم انى كنت اعزه — فذلك لان زوجتى اشتكت الى منه فى افعال رذيئة اهانها بها .

اما مادام ميشو فلم تحضر الجلسة ، وانما ارسلت الى الرئيس شهادة طبية مرفوقة بتصريح رسم بطريقة مبهمة :

« لم افعل ابدا شيئا استحق عليه انتقاما كهذا ! »

عندها وقف انتوان صارخا : « وانا اقول انه لم تنقطع علاقاتى بها قط . . علاقات غرامية واخرى لا اجرؤ على ذكرها »

توالت بعد ذلك شهادات ثانوية كانت من بينها شهادة الاب الطيب واعى برانك الذى حاول باكيا أن يرحموا الفتى الشقى الذى كان فى زمن مضى غاليا على فؤاده . ثم اعطيت الكلمة الى المحامى العام ، فافصح عن براءة مادام ميشو المثالية ، نموذج الزوجات ونموذج الامهات ، واطال لسانه فى سيرة الوحش الذى تجرأ للفتك بحياة ثمينة كحياة ايلالى الوفية .

لم يطق الشاب سماع اكثر من هذا ، وبدا انه فقد الامل الاخير حين وقف يصرخ :

— اقتلونى ! اعدمونى ! لا اريد اكثر من هذا . . اعدمونى . .

فقاطعه المحامى : ـ ان كان فى امكانى التخلى عن امانيه لما توليت الدفاع عنه . ليست الحياة هى التى يود ، فماذا تجديه الحياة دون شرف .. الحياة ! لقد ضيع منها النصف وحكم على نفسه بالاعدام ، وسوف لا تكونوا بحكمكم عليه الا مشجعى مساعيه للتخلص من وجود غير محتمل .

على ان المحامى لم يرد ان يغفل عن دوره كمدافع ، فلفت الانظار الى شباب الجانى وعزلته الروحية ، والعثرات العاطفية والمادية التى آلمته وجرحت كبرياءه . واماط اللثام عما سماه « شر الشباب » مهاجما البائسين الذين ولدوا وعاشوا مع بزوغ القرن . وكان المحامى يود ان يتم حديثه فاضاف :

ـ على كل ، ان لم توجد هناك نار ، لا توجد بالتالى ميتة يرثى لها . .

وكان بكلامه هذا كمن ينقش على الماء ، او يتسلق سلما الى النجوم . واعلن المجلس انتوان مذنبا مع كل الظروف المؤكدة . وصدر حكم الاعدام فيه بأن يفصل راسه فى ساحة عمومية .

## • الجريمة والعقاب

وفى حين خضوعه للمصير ، وافق انتوان ان يمضى طلب الصفح عنه ، وربما لكى يحظى هذا الاستغفار بالقبول ، طلب الى المسئولين ان يسمحوا له بادلاء اعترافات جديدة . وفى رفقة بعض الشهود المعينين من طرف القانون ، نزل رئيس المجلس الى السجن حيث انتوان مكبل بالاغلال . واعلن انتوان امام الجميع بانه اثناء الجلسة لم يتناول الحقيقة بالمرة ، والواقع ان مادام ميشو لم تكن ابدا عشيقته ، وكذا ابنة مسيو دوكوردون .

تلا الكاتب هذا التصريح وقدمه الى انتوان الذى امضاه دونما تردد

هل ترى قال الحقيقة امام الرئيس ؟

هل ترى كان صادقا فى استدراكه ؟
هل وراء هذا الاستدراك قضية ما ؟

لا احد يدرى ..

ومنذ تلك الاونة ، لم ينقطع أنتوان فى زنزانته ان يظهر كعادته هادئا مطمئنا ، بل واحيانا باسما رضيا . مرة ، واحدة ، تاججت نار حقده وبدأ يهذى كالمحموم .

اتى محاميه لزيارته مرة ، وانبأه بالدوى الذى انتشر فى المدينة على اثر محاكمته ، وأخبره بأن مادام ميشو قد تدخلت فى الامر لصالحه . اجاب أنتوان بلهجة صارمة :

ـــ انها خاطئة ! فهى ترملنى بخرق بالية بعد ان نزعت منى الملابس الارجوانية الزاهية .

وفى المساء ، انتابه شعور غريب ، وقال لحارسه بصوت طغى عليه اضطراب خفيف :

ـــ يوم آخر ينتهى ! لكن اعتقد ان الغد سيكون يومى الاخير :
وفى الغد ٢٣ فبراير ١٨٢٨ ، وبالضبط الثانية صباحا ، شاهد اشخاصا بملابس سوداء يلجون زنزانته . الحاكم والمحامى والكاتب مرفرقوه بحراس ، اذن ، فاستغفاره لم يجده شيئا ، وساعة الهلاك قد دقت .

دون ان ينبس بكلمة ، تركهم يلفون يديه بعصابة ، وينقصون من طول شعره ، وفى خطوات حازمة ، قصد ساحة السلاح بكرونوبل حيث المقصلة فى الوسط قائمة لا تميل .

توقف برهة ليلقى نظرة استطلاع كئيبة رهيبة على الالة الشنيعة . وحينما وصل الى السلم ، جثا على ركبتيه ورفع عينيه الى السماء السوداء يبتهل اليها لاخر مرة . اخذوا ينتظرونه حتى ينتهى ليصعد فى تؤدة درجات الفناء .

وهكذا مات انتوان بيرتى فى شجاعة ، حاملا معه الى القبر سر روحه المعذبة .. مات الشاب الذى كانت مواهبه تبتسم له وتفتح امامه مستقبلا سعيدا لولا ان ضيعه طموحه وكبرياؤه وعاطفته الحمقاء .

وهكذا ايضا كانت نهاية چوليان صوريل ، بطل رواية ستندال الرائعة « الاحمر والاسود » .

**القنيطرة — سعيد سوسان**

# أحـــلام عاصفـة

**للشاعـــر عبد الكريم الطبال**

وهناك فى كهف عميق خلف غابات بماد
وقفت بباب الكهف عاصفة تولول فى حـــداد
كالثلـــج بيضاء الشعور
كالليـــل سوداء الضمير
يا ما تهمهم كالمجانين الصغـــار
يا ما تغمغم وهى تحلم بالفخـــار
ان ينتهى الصفصاف من عليائه
فيخر عودا تافها فوق البطاح
ان يسقط البـــرج الـــذى فى عرشـه
فيضيع فى طلل تناوشـه الرياح
ان يصغر العملاق حتى ينتهى
فيظل ساح البعث يسال فى نـــواح
اين الاشاوش انثنـــى ســـاح بـــلا
شرف الوغى . اين اصطفاقات الرماح ؟
لكنه حلم المجانز كالضبـــاب
لكنـــه وهم كلالا الســـراب

**شفشاون : عبد الكريم الطبال**

# العطـــر الســاحر

**يوسـف مدور**

كان غسان شاذا فى كل شىء ... انه مفرط فى التأنق... مفرط فى الثروة ... مفرط فى العلم ... يجيد عدة لغات .. زار معظـــم عواصم العالم .. ومع ذلك لم يعرف ما هو الحب ولا حتى عاشر امراة او غانية كما يفعل معظم الشباب وبصورة خاصة الاثرياء ... لقد شذ عن القاعدة التى يسير عليها هؤلاء ... انهم يقضون اوقاتهم فى مداعبة الحسان ... والسهر .. والرقص ... اما هو فكـــان يقضيها فى دراسته اشياء جديدة .. درس الرسم ثم العزف علــى الكمان ... واخيرا تولع بالسباحة واصبـــح يقضى كـــل اوقاتـــه فى المسبح ولا يغادره الا قبل ان يغلق ابوابه بقليل ..

وفى احد الايام بينما هو ممدد فى الشمس وقد وضع علــى عينيه نظارة سوداء لفحته رائحة عطر غريب شنجت اعصابه ... فنظر امامه دون ان يتحرك فلم ير احدا وانتظر بضع ثوان فلم تمر صاحبة مصدر العطر ... واستمرت الرائحة تغلفه .. ففهم انهـــا

قد تمددت هى الاخرى فى الشمس فى مكان لا يبعد عنه كثيرا ... ففكر بأن يلتفت يمينا ويسارا ليراها .. ولكنه عاد وضبط اعصابه ولم يحرك ساكنا .. فى اليوم الثانى ايضا بينما كان ممددا فى الشمس داهمته رائحة ذلك العطر الساحر .. بقى اسبوعا على هذا الحال دون ان يحاول ان يميل براسه قيد انملة رغم ان رائحة العطر كانت كل يوم تقترب منه اكثر فأكثر .

انتهى موسم السباحة ومر عام كامل ورائحة ذلك العطر مـا زالت مسيطرة على جو غسان .. لكنه لم يلم نفسه لانه لم يحاول ان يلقى نظرة على مصدره .. لان كبرياءه لا تسمح له بأن يظهـر بمظهر الضعيف .

وفى احد الايام ذهب الى السينما ليرى فيلم « الشارع الخلفى » وبينما كانت الصالة تسبح فى الظلام هفت رائحة نفس ذلك العطر ثم سمع وقع اقدام عدة نساء .. فقرر ان يلتفت .. لكنه عاد وفكر .. ما الفائدة من الالتفات الان .. الظلام لن يسمح له برؤية وجهها بوضوح ، ثم من اين له أن يعرف صاحبة العطر . انهن ثلاث او اربع نساء .. فثارت اعصابه .. خصوصا بعد أن شعر انهن جلسن فى المقاعد الواقعة خلفه تماما .. فأخذ ينصت الى حديثهن الخافت الذى كان يدور حول الفيلم وفهم انهن يشاهدنه للمرة الثالثة .. وحاول ان يندمج مع احداث الفيلم كى لا يفقد سيطرته على اعصابه ويلتفت..

وقبل أن ينتهى الفيلم بدقيقتين شعر انهن نهضن وغادرن الصالة اثناء الظلام .. فكادت اعصابه تتمزق لشدة ثورته النفسية .. لكنه بقى مسمرا فى مقعده ...

وعندما اضيئت الانوار ، خرج وهو مطرق الرأس وامتطى سيارته واخذ يتجول فى شوارع المدينة .. وكانت الساعة قد قاربت الواحدة بعد منتصف الليل عندما مر قرب احد الملاهى ، فوصل الى سمعه صوت الموسيقى فتوقف قليلا وانصت .. انه مطلـــع

معزوفة « الدانوب الازرق » فغادر السيارة ودخل الملهى واتجه الى البار وطلب زجاجة ويسكى ، وما كادت الزجاجة تستقر امامه حتى اخذت الراقصات الاجنبيات القابعات على طاولة منزوية يتغامزن عليه .. وبعد ان شرب الكاس الثالثة دفعة واحدة اقتربت منه احداهن ووضعت يدها على كتفه ثم جلست على المقعد الذى بجانبه وقالت بلغة انكليزية ركيكة :

— هل تعتقد انى استحق كاسا من الشمبانيا ؟

ودون ان يلتفت نحوها قال للبارمن : اعطيها كاسا من الشمبانيا ...

فسمعها تقول باللغة الايطالية :

— كراتسية سنيور ...

عند سماعه هذه الجملة التفت نحوها وقال لها باللغة الايطالية :

— انت ايطالية ؟

فاجابته بدهشة :

— نعم ... وانت من اى مدينة من ايطاليا ؟

فابتسم وهو يفرغ الكاس الرابعة وقال للبارمن :

— اعطها زجزجة اذن ..

ثم اخرج محفظة نقوده ودفع الحساب وانصرف امام دهشة الراقصة التى اخذت تنظر اليه وهى مشدوهة .. لقد اشترى لها زجاجة شمبانيا دون ان يلمس يدها .. لا بل لم يكد يلقى عليها نظرة ... بينما اعتادت عندما تطلب زجاجة شمبانيا من احد ، ان لا تحصل عليها قبل ان تعده بقضاء الليلة معه ثم تجد حيلة لتفر منه ، هذا اذا تبين لها انه لا يملك سوى ثمن تلك الزجاجة .. اما هذا الشاب فقد قدم لها الزجاجة بكل سهولة ودون مساومة ، وانصرف حالا ... وبعد ان شربت كاسا واحدة ، اعادت الزجاجة الى البارمان ... بانتظار صيد جديد ..

ما كاد غسان يصل الى داره حتى القى بنفسه على سريره وطمر انفه في الوسادة لعله يتخلص من رائحة العطر التى تسيطر عليه ... واخذ يتراءى له طيف امراة غير واضحة الملامح ترتدى ثوبا شفافـا من الموسلين البنفسجي ترقص «الفالس» تقتـرب منه ثم تتراجـع كالفراشة وعبيرها ينساب على اجنحة الانغام الموسيقية .. دام هذا المشهد لحظات ثم اختفى وبقيت رائحة العطر .. فكاد غسان يفقد عقله فنهض واتجه نحو الشرفة واشعل سيجارة واخذ ينفث دخانها باتجاه السماء ويتابعه بانظاره حتى يتلاشى .. وفجأة لمـع نـور من شباك البناية المقابلة فحول انظاره نحوه واخذ يحدق فيه ... وبعد برهة لاح له شيء يتحرك في اقصى الغرفة ثم اخذ يقترب رويدا رويدا من النافذة .. ثم عاد وابتعد .. انها امراة ترقص ..

فكاد يقفز من الشرفة ليطير اليها .. الا ان النور اختفى وغابت المـــراة ...

فثارت اعصاب غسان وخرج من البيت ونزل الى الشارع واخذ يزرعه ذهابا وايابا وهو يدخن السيجارة تلو الاخرى وعندما قاربت الساعة السادسة صباحا عاد الى البيت منهوك القوى فألقى بنفسه على السرير وغرق في سبات عميق . وعندما استفاق من نومه غير ثيابه التى قد نام دون ان يخلعها واتجه الى دار شقيقته ناهدة التـى كانت مستشارته الخاصة ، نظرا لما تتمتع به من ذكاء وسرعـة خاطر التى كانت تعيش معه قبل زواجها من الدكتور مدحت.

استقبلته ناهدة بحرارة وضمته الى صدرها وكانه طفل صغير رغم انها تصغره بسنتين ثم اجلسته قربها على الاريكة واخذت تداعـب شعره بأناملها وهى تقول :

ـــ انى اصغى اليك تكلم .. هل اكتشفت فتاة احلامك ؟

فقال وهو ينظر من خلال النافذة الى السحاب وهو يتمزق في الافق

ـ وصل الى عبيرها وسحرنى دون أن اراها .. وسرد لها جميع ما حدث معه .. فابتسمت ناهدة ابتسامة مغتضبة وقالت :

ـ ماذا يمكننى أن افعل من اجلك ؟

ـ هذا ما جئت اسألك عنه .. انى بحاجة لارشاداتك .. انى اكاد افقد عقلى ..

فأطرقت ناهدة لحظة ثم رفعت راسها ببطء وقالت :

ـ لقد وجدتها ...

فانفرجت اسارير غسان وقال :

ـ من هى ؟

فابتسمت وقالت :

ـ لم اجد فتاتك انما وجدت الحل .. لست ساحرة .. انما اكتشفت الطريقة التى قد تعيد الهدوء الى نفسك ..

ـ انى اصغى بكل حواسى ..

ـ انصحك ان تقوم برحلة الى أوربا على ظهر باخرة .. ان منظر البحر وهواءه العليل كفيلان بتهدئة اعصابك ..

◆

كانت الباخرة تقترب من ميناء « نابولى » عندما كان غسان يقف على سطح السفينة مستندا الى الحاجز وهو يتأمل القوارب وهى تنساب على سطح الماء وفجأة نصب غسان قامته وأخذ يستنشق الهواء بمل ء رئتيه وبحركة لا شعورية استدار ببطء ليجد نفسه وجها لوجه امام صبية فى حوالى الخامسة والعشرين من العمر شعرها الطويل يرقص على كتفيها العاجيين اللذين يظهران من خلال بلوزه من الموسلين البنفسجى .. ثم جذب انظاره السحر المندفع من عينيها السوداوين وشلت حركته رائحة العطر الساحر المنبعثة منها ... لكن عقله اخذ يعمل بسرعة ..

يا الهى .. انها ثريا صديقة ناهدة ...

كانت ثريا تتقدم نحوه ببطء وهى مصوبة عينيها الى عينيه بتحد .. وعندما اصبحت على بعد خطوتين منه فتحت ذراعيها والقت بنفسها على صدره وشبكت يديها على نقرته ودفنت وجهها فى عنقه واخـــذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة .. وبعد لحظة تردد راح يمرمغ انفـــه فى شعرها ويمص عبيره الاخاذ ...

ثم اعتصرها بين ذراعيه وتمتم :

ـ وزوجك ؟!؟

فأجابته وهى تضع اذنها على صدره :

ـ انه لا يهتم الا بالسياسة .. الانتخابات واصوات الناخبين ... وزعماء الاحيـــاء ...

هذا هو الشىء الوحيد الذى يستولى على كل تفكيره .. فقال وهو يبعدها عن صدره وبعد ان صوب عينيه الى عينيها :

ـ فابتكرت طريقة لتستولى على كل عقلى وتستاثرى بافكارى..

ثم ابتسم واضاف :

ـ فى الواقع انك نجحت ولن ينافسك على قلبى الا البحر ..

كان هو يتكلم وهى تنظر اليه بشغف بينما كانت تقرب شفتيهـــا المرتجفين رويدا رويدا من فمه .. ثم امسكت خديه براحتيها وجذبته نحوهـــا بعنـــف ...

# قضايا الابداع الفني على ضوء امثولة عصر النهضة

للدكتور فؤاد أيــوب

## - 1 -

فى عام ١٤٢٥ ، صدر مؤلف البرتى « فى التصوير » ، ويتحدث الكاتب فيه عن زدكسيس الذى كان يرفض تحديد سعر من اجـــل لوحاته ، اذ هى فى نظره لا تقدر بثمن . ويرفع البرتى لواء الدفاع عـــن نبل الفن وعن مصالح الفنان فى الوقت ذاته ، معبرا بذلك عن اتجاهات الجيل الجديد . بيد أن الغرض من دفاعه لن يتحقق قبل مرور قـــرن كامل ، فيحظى الفنان بما يستأهل من احترام ، ويتقاضى عن اعمالـــه اتعابا كالاديب سواء بسواء ؛ فى انتظار ان تصير مكافآتـــه اعظم بما لا يقاس مما يناله الاديب من مكافآت . لقد اصبحت له مكانته بين الناس ، وهو بعد الان على ثقة فى الحصول على المجد الذى يطمح اليه،

افلم يكن ميكل انجلو هذا المعلم بين المعلمين ، سعيدا بالرخام والبرونز لانهما سيضمنان له بقاء آثاره طويلا جدا بعد وفاته ؟ او لم يوجه الشكر الى فاسيرى ويهنئـــه لانه دافع عن قضية الفنانين جميعا ، الاحياء والموتى منهم على حد سواء ؟

ولقد كان الفنان ، على مدى القرون فخورا بحرفته الجميلة وداعيا لجدارته النادرة . لكن التصوير حتى ذلك الحين لم يكن يجد مبرراته فى جماله فحسب ، بل بالاحرى فى اغراضه التى هى تثقيف الشعب ، وقد كانت ثقافة الشعب طوال القرون الوسطى مقصورة على الديـــن وحده ، وكان الفنان يحصل على التقدير والتبجيل بقدر ما يخدم اغراض الدين الذى ينتمى اليه ويؤمن بمبادئه .

لكن الامور شرعت تختلف فى عصر النهضة ، اذ تغير موقف الفنان تلقاء الاثر الفنى ، وتغير موقف الجمهور ايضا . ان الروابط بيـــن جدارة هذا الاثر ومنفعته التعليمية ( يعنى موضوعه ) تنحل اكثـــر فأكثر ، ولا يبرح هذا الاثر ينال الاعجاب من اجل جماله ، لكنه اصبح للاعجاب بعد الان حوافز اخرى ، كما صار يتوجه الى مظاهر كانـــت حتى ذلك الحين مجهولة ، او كانت موضع الاهمال على اقل تقدير . لقد اصبح الاعجاب يتوجه الى المقدرة الفنية بحد ذاتها من جهة واحدة، والى اداء الشخصية الموفق من جهة ثانية . ولا بد من العناية بهذه الناحية الاخيرة بصورة مخصوصة ، اذ لم يكد الفنانون يخرجون مـــن الظل حتى فرضوا انفسهم على الناس ، فاذا هم يتصدرون الصفوف فى اقل من قرن واحد . ولقد اضحى الناس يدركون بعد الان ان قيمـــة اللوحة او التمثال لا تنحصر فى جمالها فحسب — يعنى فى مطابقتهما لمثل اعلى هين ، وبالتالى لامنية المشاهد فى آخر تحليل — بل فى كونهما يعبران بكل اخلاص وصدق عن رؤيا الانسان الذى صنعهما ، اذ هما يعكسان فكره الخاص وعبقريتـــه الخاصة . . ان المادونا التى رسمتها

ريشة رفائيل هى مادونا بكل تأكيد ، لكنها «لوحة لرفائيل» فى المحل الاول ، وما دام الاثر الفنى بوصفه ابداعا ، والفنان بوصفه مبدعا ، يوقظان اهتمام جمهور متعاظم باستمرار ، فقد ادى هذا الفضول الى قيام — بالاحرى الى امتداد — دراسة قضايا الفن التى لم تعد مقصورة بعد الان على ابناء الحرفة وحدهم . ما هى مبادىء الفن ؟ ما هى مناهجه ؟ ما هى اغراضه ؟ لقد نسى الناس ، او كادوا ، هذه الامور منذ العصور القديمة ، لكن الاجيال الجديدة شرعت تعنى بها اكثر فاكثر ، واصبح ثمة ما يسمى قضايا الابداع الفنى .

ومن الطبيعى ، كما هى الحال على الدوام ، ان ينصب الاهتمام على الخارج بادىء الامر قبل ان يحاول سبر اغوار الباطن . حين نتحدث عن الابداع الفنى فى ايامنا ، فاننا نتوجه قبل كل شىء الى السر لكل ابداع ، الى مظهره المأساوى الى عزلة الانسان العبقرى والى عذابه الصميمى العميق . اما وقتذاك ، فى عصر النهضة ، فقد اقتصر الاهتمام على آلية الابداع الخارجية ، واساليبه المنوعة ، وبالخاصة — فى حالة الفنون التشكيلية — بالظروف التى يتكون فيها اثر لم يخلق من العدم ، بل من المادة الخام . وهؤلاء الناس يحاولون ان يفهموا هذه الامور بصورة افضل ، وان يحللوها بمزيد من الدقة ، وذلك على ضوء الامثلة الجديدة وتعاليم الفلاسفة على حد سواء . وليس المقصود هنا الطرائق او العادات الخاصة بكل فنان على حدة ، بل الشروط العامة للعمل الخلاق ، هذه الشروط التى يخضع المنفذ لها كائنا ما كان تكونه وكائنا ما كان مزاجه .

وكان فارشى سباقا الى التصدى لهذه القضية عام ١٥٤٦ ، وما هو موضوع الفن بالنسبة الى فارشى ؟ اذا اعطينا كلمة « الفن » اوسع معانيها ، دون اى اعتبار لفكرة الجمال بالذات ، فان موضوع الفن هو كل ما تصنعه يد الانسان من دون ان تنقحه الطبيعة ، سواء اكان كومة من حجارة او عمارة شاهقة .

ومهما يكـن من شىء ، فان ما يهمنا فى دروس فارشى فى المحل الاول هى المقارنة الواسعة بين التصوير والنحت .

ان للتصوير فضائله على النحت ، لان فى « الرسوم صنعة اكثر مما فى التماثيل » . فالنحت يفتقر الى امكانات التصوير اللامتناهية : المنظور واللون اللذان يمكنان من تمثيل النور والظل ، وخلفية اللوحه حيث يمكن ان نمثل مناظر طبيعية عريضة ، ومشاهد تشمل اشخاصا عديدين ، وغابات ، ومراعى ، بل اضطرام مدينة باكملها .

وبالمقابل ، فان من جملة فضائل النحت اننا نستطيع أن نلمسه. فالشىء المنحوت حجم ، جسم صلب ، وهو يجتذب الايدى ، الامر الذى تعجز اللوحة المرسومة عنه . ان روائمه وتناسق اشكاله اشياء يمكن الاحساس بها بالاصابع، واللمس هو اقل حواسنا خداعا، هو اسمى ضمانة للحقيقة . وان النحت ليحاكى «الجوهر» ، فى حين يقتصر التصوير على «العرض» . وذلك هو التناقض الازلى بين «الكينونة» و «المظهر» .

ان للنحت والتصوير مصائر مختلفة : فالصورة رمز ، اشارة مخطوطة على سطح الاشياء . اما التمثال فشىء ، شىء ذو ابعاد ، وليس من العسير علينا ان نتصور فى سماكته عنفوانا من الحياة الكامنة. ولقد قادت امكانية الاحياء هذه الى خرافات عديدة ، منذ بغماليون حتى دون جوان . واذا كان صنعة الايقونات قد تفادوا النحت قدر امكانهم، فذلك لان صنمية التماثيل المنحوتـة اخطر بما لا يقاس من صنمية الـرسـوم .

وحين سئل ميكل انجلو عن رايه فى الموضوع ، وهو الذى مارس الفنين على السواء ، جاء جوابه جازما : انه مثال ، بل لقد بلغ الامر به الى حد القول : « انا لست رساما » .

وليس النحت فنه فحسب ، بل هو «الاول بين الفنون» . وانـه ليقول : « اعتقد انه يجب اعتبار الرسم انفس بقدر ما يقترب اكثر مـن

النحت ، والنحت اسوا بقدر ما يقترب اكثر من الرسم . ولذا فقد خيل الى دائما ان النحت هو مشعل الرسم ، وان بينهما فارقا هو الفارق الموجود بين الشمس والقمر » . وهكذا لم يبق تنوع المواضيع واتساع البرنامج ميزتين للرسم ، بل هما وسمان لضعفه . اما النحت فلا يحتفظ بنقائه الا بنفس اعراضه عن « التاريخ » .

وليس فى مكنة معارضى فن النحت ان ينكروا فضائله كليا . وان ليوناردو دى فنشى ، الرسام بكل معنى الكلمة ، يعترف ببعضها : ان النحت يتحدى القرون . ويعرف ميكل انجلو النحات ذلك ، وهو يعارض خلود التمثال بقصر حياة الفنان والنموذج على حد سواء، لكن ابتذال مثل هذه الحجة لا يفوته . فاذا كانت اولية النحت هى اولية الفعل الخلاق ، فيجب ان تكون غير منفصلة عن عملية لا تتهاون باية ندامة، ولا تقبل فى اللحظة الحاسمة اى تردد او اية خطيئة من جانب اليد . ان النحات لا يعود الى عمله ، فى حين يعمد الرسام الى اصلاح عمله وتنقيحه . ويبدو ان نفور ميكل انجلو من تبديل نقاوة تلك الدفقة الاولى الصادرة بصورة مباشرة عن المجال الباطن حيث تتكون سائر الصور هو الذى يحمله من جهة على اعطاء المرتبة الاولى للنحت ، ومن جهة ثانية على تفضيل التصوير الجدارى فى الرسم على صنعة الزيت الصابرة : فحين شاهد عشية بدء « الدينونة الاخيرة » ان جدار كنيسة السيكستين قد هىء من اجل الرسم بالزيت اصدر امره على الفور من اجل نزع الطلاء عنه .

وقد تكون سرعة الاداء ويقينه من ميزات الرسم ، لكن الهجوم العنيف على الحجر يمنح النحات وحده الاحساس بانكشاف الجمال . ولقد كان فارشى يضع النحت فى جملة الفنون التى تتميز ببتر جزئى للمادة المشغولة ، لكن ميكل انجلو لم يصرح قط بان ذلك هو احد اسباب تفضيله النحت على الفنون التشكيلية الاخرى ، وان كان فى مقدورنا

ان نخمن ذلك من مختلف اقواله . ان فكرة هذا البتر ، فكرة هـذه التعرية لشكل منقوش فى الفكر سلفا وموجود بصورة مسبقة فى المادة تطارده ، وتعذبه ، وتلهب حماسته .

فالنحات لا يدرك شيئا ، لا يستطيع ان يدرك شيئا لا تنطوى عليـه كتلة الرخام سلفا ، بحيث يقوم فنه فى الكشف عما تخفيـه السماكة غير المجدية فى كثافة المادة . وذلك هو احد الشروط العامة للابداع الفنـى .

وفى «حوار الانظمة الكبرى» وضع غاليلوس فى فم احد اشخاصه، ساغريدو ، هذا الهتاف من الاعجاب والاسى « حين انظر الى تمثال من التماثيل الرائعة اقـول فى نفسى : متى تعرف ، انت ايضا ، ان تنتزع الشىء الزائد عن قطعة من الرخام ، فتكتشف عن تلـك الصورة الفاتنة جدا التى كانت تختبىء فيها» . فلا يوجد شىء الا لان وجوده كان ممكنا ، الا لانه كان موجودا من قبل بطريقة ما ، بحيث لا يعدو الفعل ان يكون تحقيقا لشىء ممكن .

وان التصوير ليخضع لهذا القانون العام كالنحت سواء بسواء ، وعند غاليلوس ايضا ان اللوحة « كامنة فى رقعة الفنان حيث تـوجد سائر الالوان » . اما الفنون الاخرى التى يبدو انها فى غنى عن اية دعامة مادية ، كالموسيقى والشعر ، فليس اسهل من ان نبرهن ، على النقيض من ذلك ، على انها تتجسد مرتين : المرة الاولى فـى الامواج الطنانة التى هى منتجاتها ، والمرة الثانية فى الرموز المكتوبة التى تعبر عنها ، وتثبتها ، وتنقلها ، وهى التى كانت سائر تراكيبها الممكنة، المختبئة فى ملء الاعداد ، حاضرة من قبل بصورة فعلية ، مثل التمثال فى كتـلة الـرخـام .

لكنه حضور مختلف على اية حال ، لان للتمثال من وجهـة النظر هذه حسنة تبرز للعيان بكل وضوح . وفيما عدا ذلك ، فان

الفلسفة الطبيعية كما كانت سائدة فى القرن السادس عشر لم تكن تنكر مطلقا هذه الواقعية التى يملكها الشىء المجلبب «بسماكة» غير مجدية. مثل ذلك مثل المعدن فى غلافه فى المنجم ، فهو هنالك ، حائزا سلفا ، حتى قبل الكشف عن شكله ، على سائر الخصائص الفيزيائية التى سيكون هذا الشكل شرطا لازما لها .

بيد ان وجود التمثال بصورة مسبقة فى المادة ، بل وجود «الف تمثال جميل » على حد تعبير غاليلوس ، لا يجعل تدخل الفنان عديم الجدوى ، بل يفر منه على العكس من ذلك ، ومن وجهة نظر مزدوجة. ولا ريب ان ساغريدو يفكر فى مهارة اليد بادىء الامر ، لكن هذه المهارة وحدها لا تكفى ، بل ثمة مقصد هى تعمل فى خدمته . فلا بد من الاختيار بين عدد لا متناه من الممكنات ، حيث ان الزمن الاول للفعل الخلاق هو ولادة «الفكرة» .

لكنه الزمن الاول فحسب ، لان الابداع الفنى لا يقتصر على ولادة «الفكرة» وحدها . بل اننا نميل احيانا الى الاعتقاد بأن هذا الخلق الاولى لا يساوى شيئا على وجه التقريب بالقياس الى الخلق التالى له . ان التنفيذ ، او عمل اليد ، لابعد ما يكون عن ان تستعبده الفكرة، بل هو يعد لها ، ويغنيها ، وينحرف عنها اذا اقتضت الضرورة ، بحيث ان النتيجة النهائية تنطوى دائما على نصيب لم يكن فى الحسبان . ويقول ايتين جينسون : « حتى بعدما يهيأ كل شىء ويحسب له حسابه ، فان الفنان لا يدرى بعد كيف سيكون اثره الفنى » . ويذهب مالرو ابعد من ذلك حين يؤكد : « اذا كان الفكر هو الذى يبحث على الاغلب ، فاليد هى التى تجد **دائما** » . ويقال ان بيكاسو قد اجاب مره على سؤال بشأن « ابحاثه » فقال « انا لا ابحث ، انى اجد » لكنه مهما بحث الفنان ، فان العدد اللامتناهى من الممكنات التى يفترض فيه الاختيار بينها يثقل عليه فى سياق عمله . ان اكثر الفنانين وعيا لمقاصده ،

اكثرهم حزما على ان يجعل من الاثر المكتمل الصورة الكاملة عن « الفكرة » المختمرة فى ذهنه ، يعرف جيدا ان الانتقاء يعنى الاستبعاد، واحيانا يدفعه الاسف على الامكانات التى اضطر الى رفضها لان يحتفظ لها بامكانية الاكتمال فى اثر اهمله عن طيبة خاطر فى حالة بدئية. وذلك هو اغراء الاثر « الناقص » . او ان الفنان يجد ، بعدما بحث ، الشىء الذى لم يبحث عنه ، فهو يغتصب قوى غير متوقعة ، بل ربما ينتفع من «رائعة طارئة» بشرط ان يقدرها حق قدرها .

ان امثلة عديدة عن مثل هذه المفاجآت قد الهمت الكثيرين من فلاسفة الفن ازدراء مبالغا فيه لنوايا الفنان المكشوفة او المكبوتة. ان اى قصد هو موضع الريبة بالنسبة اليهم ، وفى رايهم انه يجب اطلاق الحرية لليد على الاقل ، ان لم يكن لاية ضربة فرشاة غير مقصودة . ويتحدث رونه هوينغ فى نقمة عن «عقلانيتنا العنيدة» التى تحملنا على « الاعتقاد بان انجاز الاثر الفنى يقوم فى تحقيقنا فى المادة مفهوما ناضجا سلفا فى الدماغ » لكن هذه « العقلانية » هى التى كان ميكل انجلو يدين بها ، مثلما يدين بها سائر المبدعين الكبار وجميع النظريين فى عصر النهضة . ومهما يكن من شىء ، فانه لا بد لنا ان نعترف بدور «المشروع» فى الابداع الفنى ، هذا المشروع الذى يظل مشكلة قائمة ، قد تكون غير محلولة ، لكنها ليست تافهة فى حال من الاحوال .

ويمكننا ان نطرق هذه المشكلة من زاوية اخرى للنظر . ان جيوردانو برونو يعتقد ان الكرة هى الجسم الصلب الاكثر كمالا والاقل عرضة للتغير ، ويستنتج من ذلك ان العنصر الاخير للمادة ، العنصر الابدى وغير المتبدل ، لا يمكن الا ان يكون كرويا ، الامر الذى يجد البرهان عليه فى وجود الحصى المدورة على شطئان البحر من جراء حركة المياه . وان شكل هذه الحصى لموجود سلفا فى اية شظية صخرية

والطبيعة هى التى تظهره ، مستخدمة فى سبيل ذلك طاقـة قد تبدو عمياء فى الظاهر ، لكن روح العالم ، الموجودة دائما وفى كـل مكان هى التى توجهها . كيف ننكر اذن على الاعمال الانسانية ذلك القصد الذى نخص به القوى الطبيعية بكل اريحية ؟ ان الفنان لا يؤدى الا ما سبق له ادراكه، حتى فى حال نسيانه فكرته الاولى، لان الفكر لا يغيب فى اية لحظة من لحظات عمله . وحتى اذا رفض هو نفسه ذلك، فان يده « تخضع للذهن » . فمن الاسلوبين او المظهرين المختلفين اللذيـن يميزهما ارسطو فى كل ابداع فنى ، الا وهما المحاكاة والابداع بالمعنـى الصحيح للكلمة ، ينتسب عمل اليد الى الاسلوب الاول .

ان اليد تخضع ، يعنى تحاكى . وماذا تحاكى ؟ يجيب فنشى انها تحاكى الطبيعة ، لكن انجلو يخالفه فى الراى . فعنده ، هو المتشرب بتعاليم ارسطو والافلاطونية الجديدة ، ان النموذج ليس فى الكائن المحسوس ، بل ان الفكر هو الذى يولده . فالفنان لا يتلقى الهامه من العالم الخارجى ؛ على الاقل لا يتلقاه من هذا العالم بصورة مباشرة ان الجمال الموجود فى الخارج ينفذ الى روحه عن طريق عينيه ، ويتحول هناك الى «صورة قلبية» ، ويصير شكلا عموميا . ويذهب فارشى الى ابعد من ذلك . ان « الفكرة » قد تكون من وحى منظر شىء طبيعى ، لكنها فى الوقت نفسه من ابداع فكرنا حتى درجة ما ، وهـى كـذلك بالضرورة اذا كان المقصود شكلا لا يتوفر فى العالم الخارجى .

وهكذا فان عمل اليد محاكاة لصورة باطنة او تعبير منها ، لانه حتى اذا اتخذ الفنان نموذجا له شيئا موجودا فى الخارج منه ، فلا بد لهذا الشىء ، سواء اكان طبيعيا ام اصطناعيا ، فى المرور فى وجدانـه حيث يعيد تركيبه . ذلك ان مبدا الجمال الادبى هو فى باطننا ، كما يقول افلوطين ، وكل ما هنالك ان علينا اكتشافه : « اذا لم تر بعـد الجمال فى ذاتك ، فافعل مثل نحات تمثال يجب ان يصير جميلا ؛ انه

ينزعه قسما من الحجز ، ويحكه ، ويصله ، ويجرب حتى يخرج خطوطا جميلة فى الرخام . افعل مثله ، **وانزع الاشياء الزائدة»**

ان الافتراض بوجود امكانات مختلفة ومتنوعة واليقين المصاحب له بان كل ما نكتشف سابق لاكتشافاتنا هما فى خط الفلسفة الافلاطونية، ويسودان فى مختلف المجالات ، فى الفنون والعلوم على حد سواء . ولقد كان اقليدس ، الذى كان يعتبر نفسه فيلسوفا افلاطونيا ، يؤكد ان الحقائق الرياضية التى برهن عليها فى كتابه « العناصر » هى وقائع مستقلة كل الاستقلال عن قبولنا او رفضنا . ليس فيها ، فى رأيه ، اى شىء اتفاقى ، بل هى ما هى ، وجدارة العالم هى فى اكتشافها ، او بالاحرى فى اثارتها بضياء باطن ، لان وجود الحقيقة السابق للمعرفة يقابل وجود الحقيقة التى فى ذاتها، لكن غير البينة ، من قبل وعينا اياها ولم يكن غاليلوس يحب ان يسمع حديثا عن « مستحدثاته » ، فكان الارض لا تدور حول الشمس الا منذ البارحة فقط ، وبفضله . اما تلميذه غيدوتشى فكان يصر على ان « تجاربنا الحديثة ليست اشياء جديدة فى الطبيعة » . إننا لا نخلق شيئا ، بل نحن نعى بجهد منهجى جوهر الاشياء ، ونعيه فى **ذواتنا .**

كذلك حين يفتش الفنان عن موضوعه ، يعنى الصورة التى سوف تكون النموذج الحقيقى لاثره ، فانه يجده فى ذاته ولا يخلقه من العدم . انه يجده فى ذاته ، اذ ينحت ذاته ، بطريقة هى اقرب ما تكون الى طريقة النحت المباشر . وليس فن النحات هنا مجازا الغاية منه تحديد جهد الاستقصاء الباطن بصورة افضل ، بل ان القرابة بين عمل اليد وعمل الذهن هى قرابة حقيقية بالنسبة الى افلوطين او ميكل انجلو . فكما ان اليد تظهر الصورة من ملء كتلة الرخام ، كذلك الذهن «الشاعرى» (يعنى الخلاق) يظهر «الفكرة» من ملء كتلة فى الفكر الفائض الذى ينطوى على الكل . وليست دلالة « الفكرة »

سوى الانتقال من الوعى الغامض لامكانات متعددة الى الوعى الواضح لاحدى هذه الامكانات ، على اعتبار ان الفكر الواضح موجود بصورة مسبقة فى ثخانة الفكر الغامض الذى تشكل كتلته « مثل كتلة الرخام » الانا الخاصة بنا .

وان هذه الانا التى تغتنى بملابسات تجربة عامة تصبح بدورها حقلا للتجربة . وهى تغتنى بطريقتين . بصورة واعية بفضل احساساتنا اليقظة ودراساتنا، وبصورة غير واعية اوغير منقطعة، بفضل احساسات غير يقظة نحسب انها قد ولدت ميته لانها لا تحيا على النور، لكنها ترتسم فينا وتحيا فى ذاكرتنا حياة كامنة . وانه يتشكل من هذه الاحساسات وتلك عالم باطن مصطبغ بصبغة معينة هى دلالة الفردية . وتاتى فى اعقاب هذه العملية عملية اخرى هى عملية دلالة « الفكرة » ، وقد تكون هى الاخرى مكافاة على جهد واع وموجه او نتيجة لاكتشاف طارىء او ادراك مفاجىء . وانه ليتراءى فى هذه الحال الاخيرة ان الصورة التى غمرها النور على حين غرة لم تؤخذ من اعماق الفنان خلسة ، بل قد انتزعت نفسها انتزاعا كى تطفو على السطح، وتفرض نفسها على الفنان ، وتباغته احيانا حتى ليعزوها الى الهام آلهة الفن ويستقبلها كما لو كانت منحة سماوية .

**وهكذا تتنازع فلاسفة الفن فى القرن السادس عشر نظريتان احداهما على القاعدة وتنتسب الى ارسطو ، فى حين تعترف الاخرى التى تستلهم افلاطون ، بعنفوان ((الحميا الالهية)) . ومهما يكن من شىء، فان الفنان لا يستطيع ان يجهل انه حامل بعدد كبير من الامكانات التى تشهد عليها حتى درجة ما مسوداته ومحاولاته التى هى مقدمات كل اثر فنى . ولا يقل عن ذلك مغزى تردد الفنان بشأن الخط الذى سيتبناه قبل الاقدام على اية مهمة هامة .**

**وعلى اية حال فان الفنان يوفق ، فى شىء اكثر او اقل من التوفيق ، وفى اغلب الاحيان وهو جاهل لاطراف المشكلة ، بين**

الامكانية العامة وتاكيد شخصيته الفذة . وتنجم الامكانية العامة عن كون الفرد يحيا ، من جهة واحدة ، فى كون حى ، وعن كونه يخضع من جهة ثانية لفعل العقل العمومى . وهكذا تغنيه تجربة مضاعفة ، وتجعل من اناه ( من قلبه على حد تعبير ميكل انجلو ) عالما يستقى فيه عناصر عمله ، فتنكشف شخصيته فى الانتقاء الذى يقوم به فى اللحظه الحاسمة . وعلى حد تعبير سيباستيان ميرسيه : (( ان العنكبوت تستخرج السم من نفس الزهرة التى تستخرج النحلــة العسل اللذيذ منها )) كذلك يؤدى فنانان الموضوع نفسه بطريقتيــن مختلفتين ، ويتوصلان الى نتيجتين مختلفتين انطلاقا من التجربه نفسها . ولا يمكننا ان نلوم العنكبوت لاستخراجها السم من الزهرة ، لان سلوكها خاضع لقانون عفوى لا يقبل اى تمرد او عصــيان . لكن الانسان يملك على النقيض من ذلك قدرة تسمح له ان ينتقــى بين السم والعسل ، وعليه ان ينتقى جيدا ، يعنى ان ينتقى مــا يناسب عبقريته الخاصة .

وان لهذا الانتقاء ازمانا متعددة ، اذ يجرى خلال سائر مراحل عملية ليس انجاز الاثر الا خاتمتها : انتقاء العناصر المأخوذة مــن العالم الحى والتى سيتألف عالم الفنان الباطن منها — وهو انتقــاء يتحلى بشىء يزيد او ينقص من الوعى — وانتقاء (( الفكرة )) من بين ((النماذج)) التى لا حصر لها المتوفرة فى هذا العالم الباطن ، وانتقاء وسائط التنفيذ ، يعنى ترجمة الفكرة فى شىء مادى .

ويبقى ان نحدد معنى هذه الانتقاءات المتتالية ، لكنه لا بد قبل ذلك من الاشارة الى مسؤولية الفنان . لقد كان رجال النهضــه يعتقــدون ان كل اثر فنى منتسب الى مشروع وان الفنان مسؤول دائما عن انتاجه ، وهى حقيقة يذكرها اليوم ، او ينساها ، اولئك الذين يزعمون انهم لا ينقادون لوجهم ، بل ولا لمزاجهم ، بل للصدفة وحدها . لكن بعض المحدثين يحاولون ان يصححوا هذه الاوضاع ،

فلا يخشى روجيه كايوا ان يكتب : « حتى اذا لم يعمل المؤلف سوى الانقياد لغريزته او سوى افساح المجال لقوى لا يشرف عليها ( لكنه قد استسلم لها ) ، فيدعها تفعل وحدها ( بعدما هيا لها السبيل ) ، فان الاثر يتجاذب مع امنيته ، وحتى اذا كان عديم الشكل ، فان شكله هو الشكل الذى بحث عنه » ولم يكتب رجال النهضة مثل هذه الكلمات، لان مسؤولية الفنان لم تكن موضع الشك فى تلك الايام . ويقـــول فاسيرى ان ميكيل انجلو احرق عددا كبيرا من مسوداته قبل وفاتــه « كى لا يرى انسان الالام التى عاناها وكل ما تطلبه من دماغه ». اما ليوناردو دى فينشى فقد كتب فى دفاتره ما يلى : « انـــى اعرف بالتجربة ان المرء يحصل على فائدة عظيمة حين يسترجع فى ذهنه ، وهو فى سرير وسط الظلام ، الخطوط الاساسية للاشكال التى درسها من قبل ، او الاشياء الاخرى الجديرة بالملاحظة ، والتى ادركهــا بفعل تأمل عميق » ان كل فنان عظيم يتبع طريقه الخاصة الـــتى تقوده الى معرفة ذاته والى التعبير عن ذاته . وكان افلاطون يقول ان الجميع يتشابهون بفعل الفوارق التى بينهم ، والشىء المشترك بينهم هو الرغبة فى ان يكونوا نسيج وحدهم . ومن هنا كان ذلك الانتظام فى حياتهم الفنية ، فى مطلعها على الاقل . ان المعلم المقبل يبحث بادىء الامر عن ذاته ويجول بأنظاره حواليه آملا ان يجـد خارجا عنه النموذج الذى يتجاوب مع مطالبه خارجا عنه ؟ اجـل ، فى الطبيعة ، او فى المعمل حيث يتدرب ، وفى اغلب الاحيان اثنــاء لقاءاته مع اعمال السابقين له . وهذا ما يعبر عنه مالرو حين يقول : « اذا كانت رؤيا كل فنان عظيم ترجع الى الرؤية المشتركه ، فذلــك لان اللوحات والتماثيل ــ عالم الفن ــ تحددها منذ البدء ». اضف الى ذلك ان « الشعور بالرسالة لا يولد قط من اى شىء آخـــر سوى الانفعال المتولد تلقاء الاثر الفنى » وقد يبدو مثل هذا التأكيد مبالغا فيه ، وبالخاصة فيما يتعلق « بالمعلمين الكبار » ، لكنه مـــن

**المعروف ان ميكيل انجلو قد تكون فنيا ، بادىء الامر ، في متحف آل مديشي في (( حديقة القديس مرقص )) ، وانه كان يرسم نقلا عن مازاتشيو ومارتن سونغوير ، وانه تاثر بجاكوبو ديلا كوريتشيا ، وان جمال النحت القديم قد طغى عليه حين وصل روما ، وهو في الثلاثين من العمر . ولا يعني هذا انه كان يزدري تعاليم الطبيعة ، مثال ذلك انه كان يهوى دراسة التشريح ، فيقضي الساعات الطوال في تشريح الجثث ، مقاوما حتى النهاية ما تبعثه رائحتها فيه من قرف عظيم .**

وهكذا فانه من الثابت ان المحاولات الاولى لاي فنان ، مهما كان كبيرا وعبقريا ، تنتسب الى المحاكاة ، اما الابداع الفني بالمعنى الحقيقي للكلمة فلا يأتي الا في اوانه ، وما اكثر ما يتأخر في الاحايين . ان الشخصية تنكشف شيئا فشيئا ، بصورة هامسية وطارئة بادىء الامر ، من خلال التقليد ، والنسخ احيانا ، ثم تصبح اكثر ثباتا . وتنتهي أخيرا حين يصبح نموذج الاثار جميعا ملكا للعالم الباطن . حين تصبح «الفكرة» «نموذجا» وتمكن اليد الحاذقة من ترجمتها . ويقول ماتيس : « ان الفنان العظيم هو ذلك الذي يجد رموزا شخصية ودائمة من اجل التعبير عن غرض رؤياه »

ولا يعني هذا مطلقا ان الفنان يجب ان يتجرد ، حين يتمكن من فنه ، على فوائد التقليد ، وينكر مدرسته ، وينسى الطبيعة . ابدا لم يكف فنانو عصر النهضة عن البحث عن نماذجهم في الواقع الحي . ان عيونهم مفتوحة دائما ، لكن افضلهم ، واكثرهم اهتماما بتحقيق المشابهة القصوى مع ذلك الواقع الحي ، يعرفون ان لوحاتهم او تماثيلهم لا يمكن ولا يجب ان تكون نسخة طبق الاصل عن هذا المظهر او ذاك من العالم الخارجي . ذلك ان صورة الشيء ، في راى سقراط افلاطون ، يجب ان تكون ( اشفهية كانت أم تشكيلية ) صورة عنه وليس نسخة مضاعفة .» اما بالنسبة الى الصورة ، فاني اخشى

ان تكون الدقة شيئا آخر ، وان يكون الواجب ، على النقيض من ذلك ، هو اجتناب اعطاء صفة الشيء الممثل فى سائر تفاصيله ، وذلك اذا كنا نريد الحصول على صورة عنه حقا ... اذا لم يكتف اله بتمثيل لونك وشكلك ؛ بل عمد بالاضافة الى ذلك الى تصوير كل باطن شخصيتك كما هى ؛ بليونتها ودقتها تماما ؛ ووضع قوة الحكمة والفكر ، كما هما فى ذاتك .. انتون قد حصلنا اذن على شخصك ؛ او صورة عنك ؛ او على شخصك مضاعفا » .

فما يسميه سقراط صورة ونسميه نحن موضوع الفن لا يمكن اذن ان يكون نسخة عن شيء يوجد من قبل ( حتى لو كان هذا الشيء مصطنعا ) ، بل هو فى هذا العالم كائن جديد ، هو «ابداع» تقوم «صحته» فى تطابقه قدر الامكان مع الفكرة التى تسيطر على فكر الفنان وترشد يده . ان للفكرة عند الله ــ هذه الفكرة التى لا يوحى بها اى شيء خارجى ــ بدايتها المطلقة ، وفضلا عن ذلك فهى مكتملة قبل ان تتجسد وقبل ان تظهر فى العالم . ولا ريب ان هذه العقيدة هى التى اوحت لميكيل انجلو احد مواضيع « خليقة آدم » فى كنيسة سكستين : فالمرأة الرابضة تحت ذراع الرب اليسرى ليست سوى حواء ، الحية سلفا فى الفكر الالهى . وفيما عدا ذلك ، فان الخليقة الالهية فورية ، وهى لا تتطلب اية ادوات : ان يد الله ، بل اصبعه وحدها ، تكفى من اجل خلق الانسان الاول على الارض ، ومن اجل اطلاق الشمس والقمر فى الفضاء . اما فعل الابداع الفنى ( يعنى الخلق الانسانى ) فمغاير تماما : انه يتطلب وقتا ، وهو اقل مباشرة ، واقل بساطة ــ وبالتالى فهو خلق ناقص . وعلى حد تعبير جيوردانو برونو ، فان الطبيعة تعمل من الباطن ، فى حين يعمل الانسان من الخارج . وان الانسان يحتاج الى العالم الحسى الذى يزوده بغرض تاملاته وبمادة اثره ، واخيرا فانه يحتاج ، حين تحين ساعة التنفيذ ، الى ادوات لا يمكن له بدونها تنفيذ فكرته .

ان الاداة هي الخادمة اللاشعورية للفنان . فاذا كانت مطرقتي الفظة تستخرج من الحجر الصلد شكلا انسانيا ، فهي تدين بحركتها لذلك الذي يمسك بها في يده ، ويوجهها ، ويرافقها : انها تصاحب خطى المغير . والامر خلاف ذلك بالنسبة الى المطرقة الالهية التي تفعل وحدها ، وتسير وحدها ، بنسق خاص بها . وهذا يعني أن العامل والنواة هما واحد « في السماء » ، في حين انهما يتمايزان على الارض. ومن جهة اخرى ، فاذا كان من المحال صنع مطرقة دون مطرقة اخرى ، فهذا يعني ان الانسان قد طرقته المطرقة الالهية ، وبكلام اوضح ، فان الفكر الانساني مرتبط بالله ، واليد «تخضع للفكر» . وتلك تبعية مزدوجة لا تنفي بعض الحرية ، الا وهي حرية الفكر التي هي عطاء من الخالق . وان هذه الحرية تشكل مزلقا للخطر ، ومصدرا للقلق ؛ لكنها في الوقت نفسه اساس الكرامة الانسانية . لكن هناك من جانـــب ثان حرية اليد ، يعني اليد ، التي ينجم عنها نصيب لم يكن في الحسبان وهو ينبوع الدهشة في كل اثر فني . وهكذا يبدو هذا الاثر ، الموجود سلفا في ملء الامكانات لكن غير الظاهر الى نور النهار ، صورة عن الطبيعة ، لكنه ليس نسخة طبق الاصل عنها ، وهو على اية حال شاهد على عالم جديد كل الجدة .

للبحث صلـــة

# الرجـــل المجهـــول

بقلم : ام عصـــام

الانغام الصاخبة تملأ الغرفة الكبيرة .. الضحكات الانثوية تزرع بسمات رضية ونظرات دهشة فى وجنات الرجال .. ملابس النســـاء الزاهية تلون جو السهرة ربيعا ولهبا دافقا .. فى انعكاس اضواء حمراء خافتة تتلاحم الاجساد وتتباعد فى رقص جنونى لا يعرف الهدوء ..

وقفت فى مدخل غرفة تطل على ذلك الحفل الكبير .. دخـــان اللفائف يجتذب دمعات من عينيها ، فتسند راسها الى طرف الباب ، وتغمض جفنيها ، وتسيل دمعتان على خديها فى مجرى طويل حفر فى وجنتيها حكايا بعيدة وقريبة .

يا لغرابة الحياة الكل يضحك ويمرح لماذا !.. الأنهم يودعـــون عاما ويستقبلون عاما ؟ وهل الوداع يعرف نكهة السعادة !.. هى تعرف المرارة وطعمها .. اما هؤلاء الصاخبون فلا تعرف عنهم شيئا .. كل ما تعرفه انها دعيت مع زوجها الى هنا ، وجوه غريبة عليها .. وارواحهم اغرب وهم فى جنونهم اللا منطقى هذا وتضـــيـــع فى رنين اجراس بعيدة يسكن انينها .. تضيع مع اعماقها ولـــهـثـــات ايامها

الماضية .. حفنة شهور وكومة ايام تودعها هذه الليلة .. سنة كاملة طويلة بتعداد ساعاتها ودقائقها .. سنة عرفت فيها الهناءة والالم .. تذوقت منها الرضا والغضب .. عاشتها لحظات حلوة هانئة واياما قاحلة عطاش .. كل هذا عرفته وتذوقته وعاشته والان ايحق لها ان تفرح وتمرح ؟.. اتفرح للسعادة التى مرت عليها .. سحابة صيف ؟.. اتمرح للالم الذى خلق منها انسانة مفرطة فى احاسيسها فيما يعترضها من احزان ومشاكل ؟ اتبتسم للحظات الرائعة التى تذوقتها وخلفت فى حلقها حنظلا لا يضيع ؟.. اشياء كثيرة وكبيرة عرفتها طيلة ايام تلك السنة .. فكيف تفرح لكل هذا .. الوداع لا يعنى لديها الا اللوعة والحرقة .. اما هذا الجنون الصاخب فلا تعرف له سببا ..

وتفتح عينيها قليلا على انغام هادئة تبدلت .. وتفرس نظراتها فى الاجساد المتلاحمة .. تراهم صادقين فى ابتساماتهم المزيفة هذه ؟ تراهم يحسون بهذا السرور وبهذه النشوة فعلا ؟..

وتضيع لفترة فى تساؤلات كثيرة .. ثم تتذكر زوجها .. ترى اين هو الان بين تلك الجموع البشرية ؟ وتقف نظرتها عليه يعانق زوجة صديقه ويراقصها .. وتبتسم باسى معهود .. من الطبيعى دائما ان يراقص هذه المراة .. يستلطفها ويحسبها فى تعداد من يعجبه من النساء ، لكنها تحمل الرقم الاول دائما للنظرة المغرية التى تكسبها من عينيها والابتسامة المتلونة بدفء على شفتيها والجسد المتماطف الذى يرتمى عليه بتكاسل واستسلام مطلق .

وحشة غريبة ووحدة قاتلة تسبح فيهما فى وقتتها هذه .. حتى فى هذه الليلة المميزة من العام كله تحس بغربتها .. وتمرغ راسها التعب على جدار الباب كانها تبث فيه شكواها وتفترضه صدرا رحبا يحنو عليها ويضم كل افكارها ، يلثم جراحها ويهدهد امانيها فى نبضات صادقة تفرد باسمها .. وتمتد يدها وهى مغمضة العينين الى حقيبتها

تلتجىء الى لفافة صديقة تستل منها ما يميت هذا الهم الجاثم على صدرها .. وحين تدخل اللفافة ملجأها بين الشفتين تحس بنار لاهبة تلفح خدها ، فتنفتح عينيها السابحتين فى الق دموع خفيفة لتجده امامها مادا يده ليشعل لها لفافتها . .وتتساءل اعماقها عما يكون هذا الغريب الذى شعر بها ، والذى انفرد عن جو الحمى اللاهبة التى تلسع الكل هذه الليلة ؟.. وتبتسم له شاكرة ، فيجيبها بعينين مفروستين فى وجهها لا تحيدان عنه .. وتحول وجهها ملتجئة الى الجموع البشرية المتحركة الراقصة .. فيظل فى وقفته بجانبها لفترة، ثم يغيب فى خطوات بطيئة سمعتها رغم الضجيج ويضيع بين ثنايا الغرف المزروعة فى البيت الصاخب ، تضمها بوادر خوف فى وحدتها هذه .. تدفن شفتيها وقلقهما فى اللفافة الصديقة .. الوحيدة التى لا تفارقها ولا تملها طالما تدفع لها الثمن .. وزوجها ؟.. اما دفعت له حياتها كلها ثمنا فكان نصيبها الضياع والوحشة ..

دائما يبحث عن الغريبات .. دائما يبحث عن لون جديد .. دائما يبحث عن كنز مخبىء فى امرأة .. اية امرأة .. وهى مشطوبة فى خط مرقوم اسمه ملل ، هويته امتلاك ..

وتتفرق الجموع الراقصة لتنتشر على الموائد الحافلة بما لذ وطاب من مأكل ومشرب .. ويغرق فى اذنيها رنين الكؤوس .. ويتراقص شبح الغريب امام عينيها يحمل كاسين من الشراب ، ويقترب منها .. يقدم لها الواحدة .. تتردد لفترة تأخذها تخفى حزنها ببسمة بعيدة عن اغوارها يزرع فى وجهها وليد اعجاب .. ثم يبتعد .. تلتجىء الى جرعة من الشراب . وتغادر وقفتها تبحث عن زوجها .. فتجده بجانب المرأة المعهودة .. تقترب من جواره وتدفن ضياعها بين الكل ..

تمتد يد الغريب اليها بقطعة من التفاح .. ينسل اسى من تساؤلها وهى تنظر اليه . .لم يهتم بها ؟ وباصرار مركز .. الرجل

الوحيد الذى يحس بها هذه الليلة .. تستغرب مراقبته لهـا .. وفى تلك اللحظة فقط يتذكرها زوجها .. يتذكرها حين يلمس تارجحها بين اخذ قطعة التفاح او رفضها يلتفت الى الرجل المجهول حانقا ينظر اليه شذرا .. يستكثر عليها بعض تفاحة تقدم اليها من رجل ما ..

تمد يدهـا تأخذها وتشكره .. يسالها زوجها .. من هو ؟..

تجيبه .. لا اعرفه ..

يلتفت الى المراة الاخرى بروح مرحة وابتسامة مـستغرقـة فى السعادة تعود الانغام الحالمة تجتذب الجموع البشرية الى الغرفة الكبيرة .. مرة ثانية تجد نفسها وحيدة .. ترحف قدماها الى مكانها بجانب الباب .. يبحث راسها التعب عن صدر حنون يبدد ضياعهـا وصمتها الذى تغرق فيه .. لقد تعبت من حديث اعماقها .. الحديث الوحيد الذى لا يصمت .. دائما يناقشها ويحاسبها .. دائما يصنف لها البشر .. دائما يعذبها .. ذلك الرفيق الوحيد الذى جنته مـن حياتها .. يتحرك الجماد لتوقها ،، هذا .. يجتذبها صدر الباب .. تلصق جسدها عليه برفق خائفة من نفوره منها .. راسها يتمرغ على جموده الصلب .. تحسه لحما دافئا طريا يحتويها بين ذراعيه .. تنفرد عن ضجيج السهرة وتستمر فى رقصة ولقاء مع الباب .. تضجر مـن القسوة التى تصافح جسدها .. تضجر .. تتمنى .. ولكن مـاذا تتمنى ؟.. تتمنى الهرب من ذلك الجو .. الهواء يفسد رئتيها .. ماذا تعب ؟.. تعب الدخان والتمثيل والتزييف كل واحد يمثل على مراقصته .. يتصنع الابتسامات البلهاء ، ويغدق الكلمات الروتينية التى اعتاد ترديدها لكل واحدة تحتويها ذراعاه .. لا تريد .. لا تريد احدا مـن الحاضرين .. لا تتمنى اى انسان منهم لتراقصه. تبدد وحشتها ويذيب وحدتها .. مشاعرها تسمو كثيرا على مشاعرهم .. كلهم كاذبـون كلهم ممثلون مخادعون .. تريد الهرب والالتجاء الى غرفة فارغـة جوها نظيف وجدرانها صامتة لكنها صادقة .. هناك ستغرق مـع اعماقها فى هدوء وسكينة بعيدة عن جو هذه الليلة المعذبة لها والمسلية

لغيرها .. تريد الهرب وحدها تاركة حتى زوجها الساكن بين تعاطف يدى المراة الاخرى المغرية التى تمتلكه .. اما هى فلم تستطـــع ان تمتلكه يوما .. لم تستطع ان تنبت فى قلبه حتى شوكة ماتت من ثمانها وردة .. لامبالاة قاتلة يسكبها هذا الزوج بين حناياها دائما ..

تدعوها يد الغريب بالرقص .. تتردد لحظة .. يتجول فى اعماقها شعور مسعور بالانتقام .. وممن تنتقم ؟.. من زوج لا يتذكر حتـــى وجودها معه ؟.. من نفسها ؟.. نفسها تأنف هذا التزييف والتملق .. وتجزم ترددها بانصياع للرقص .. تحتويها ذراعا ذلك المجهول .. يفرقان بين الجموع المتلاحمة .. تبتعد بجسدها عن جسده .. لا تريد الالتصاق به .. ومن هو لتسلمه نفسها هكذا وبسهولة .. مرتمية بين يديه بانعطاف واستكانة .. لا .. لا .. صحيح انها قبلـــت مراقصته للفراغ الذى يعذبها لكنه بالنسبة اليها انسان مجهـــول وبعيد .. لا تعرف عنه شيئا حتى ولا اسمه .. تعرف انه اشعل لها لفافة وقدم لها كأسا وقطعة من التفاح فقط .. يحاول كغيره ان يذيب صمتها باعجاب بدا يتوالد على شفتيه كلاما واسئلة .. تتجاهـــل سماعها اى شىء .. يعيد كلماته بهدوء .. يسالها عمن تكون ؟ ولم هى وحيدة دائما ؟ ولم الصمت والحزن رفيقاها ؟ ورفيقـــا عينيـــها الجميلتين وملامحها الجذابة ؟.. تلتجىء الى سكوتها يمحى الاجابـــة على اسئلته ..

تلتقى نظراتها فجأة بنظرات زوجها .. ترتسم دهشة على وجهه وهو يعانق المراة الاخرى . .تحس بشىء من الرضا ، لانها استطاعت ان تزرع فى قلبه الجاف بزرة من الشك والغيرة .. تعود الى وجه الرجل المجهول الذى يراقصها .. تجمل وجهها ببسمة زائفة .. يعاود تساؤله عن حزنها .. تدير وجهها تبحث عن زوجها .. تحس بمراقبته لها مع انغماسه فى جوه الخاص الذى يعيشه دائما مع المراة الاخرى تنبثق فى اعماقها نقمة لا تعرف مداها .. تتصارع قوى الخير والشر فى نفسها .. يسبح صدرها بضيق لا يتوقف .. ضربات قلبها تشعرها

بانها لم تخلق لمثل هذا الجو . .لا تستطيع الكذب والتمثيل .. ولا تستطيع التخلى عن مبادئها ومثلها .. كانت تعرف انها خلقت لانسان ستحبه ويحبها فقط .. اما ان تعيش هكذا رصيد منزلى حياتى على الهامش .. كتلة جامدة تتحرك فى البيت، وترافق الزوج جسرا يعبره الى السهرات والمجتمعات .. ثم تعود بالية تخلو من كل شىء .. حتى من الحنين لما كانت تتمنا ه من دنيا الحب .. هذا ما لا تستطيع احتماله بعد اليوم .. وهذا الانسان المجهول الذى يراقصها ما الذى جذبه فيها؟ .. هل هى مسحة الحزن التى تكسو وجهها ؟.. ام وحدتها المتلفعةبها ام بقايا جمال نسته الايام ؟.. وهل عليها ان تستمر ؟.. ولم تستمر؟ .. لا تربطها بهذا الغريب اية معرفة وعاطفة ؟.. وزوجها يستمر فى اتقان دوره مع المراة اللعوب .. فلمن تدفع الثمن ؟.. حينما وقفت الانغام لاهثة لتعاود الاستمرار فى غمرة لحن آخر تخلصت من مراقصها لتتجه الى ردائها ومحفظتها تتلقفهما ثائرة حانقة .. وحين لحق بهـــا زوجها مهددا .. من هو ؟.. سأثير فضيحة كبرى ان اهتم بك ثانية .. كانت تودع وجهه بنظرة تساؤل ودهشة ويد المراة الاخرى تشد يده بدلع واغراء تدعوه للرقص ثانية .. لما تماطف لمن تدعوه نسى ثورته فى ارجاء غرفة خالية حتى من زوجته التى اتجهت الى باب المنـــزل الصاخب تغادره لتفتح صدرها للهواء النقى ، وتفتح قلبها لامال سنة جديدة تولد فى تماتق عقربين طال فراقهما ..

دمشق

ام عصام

# لماذا لم ينل عربى جائزة نوبل؟

بقلــم : شريف السراس

هذا سؤال موسمى ، يدور على الالسن فى الاوساط الادبيــة العربية كلما اعلنت وكالات الانباء العالمية ، فى كل عام ، اسم اديــب غير عربى ينال تلك الجائزة التى ــ بالاضافة الى قيمتها الماديــة السخية ــ لا شك فى قيمتها المعنوية الفذة .

وقد لا يكون مستغربا ــ قبل محاولة الاجابة على السؤال ــ ان لا يثير المثقفون العرب هذا السؤال ضمن نطاق العلم والعلماء ، وان يحصروا اثارته ضمن نطاق الادب والادباء . ذلك ان لدى الـــعـــرب شعور بالقصور والتخلف فى ميدان العلم ، وشعور بالنقص والندرة فى العلماء ، وشعور اكيد يكاد يبلغ حد العقدة المرضية بان شعوبــا كثيرة فى هذه الارض قد سبقتهم فى نطاق العلوم الحديثــة مسبقــا يصعب تجاوزه او تخطيه ، الا بجهد لا بد من الاعجاز فيه ... بينما هم ــ على العكس ــ يعتقدون اعتقاداً موروثا بأنهم (( شعب الادب )) وانهم اهل الفصاحة والبيان وارباب الخلق والابداع فى الكلمة ، شعرا

ونثرا ، وان لهم فى دنيا الثقافة والادب تاريخا حافلا ، وان لديهم ادبا رائعا وادباء مجيدون، وشعرا رائعا وشعراء مجيدون، اذن فلم — بعد كل هذه السنين — لم تلتفت اليهم لجنة جائزة نوبل ، فتحض ايا منهم بالجائزة ؟

بعضهم اشار باصبعه الى الاستعمار ومؤامراته . والبعض قال : (( لا بل انها الصهيونية )) ... وقيل : بل السبب ان ادبنا لم يترجم الى لغات الاعاجم . وقيل : ان التحامل ظاهر والتجنى اكيد لكن الاسباب عديدة لا تحصى . ولقد يكون من الطريف والمفيد فعلا أن يقوم باحث عربى باحصاء ما قيل من اجوبة ، وسردها وتمحيصها فى رسالة جامعية .. لكننا فى هذه العجالة لا نملك الا ان نقول باختصار : لا يوجد ادب عربى معاصر يستحق هذه الجائزة .. واليكم السبب او الاسباب :

فنحن لو استعرضنا الادب العربى المعاصر ، بعين موضوعية متحررة من التعصب القومى والافكار الثابتة ، لوجدنا انه ادب غير اصيل ، ادب اقل ما يقال فيه : (( ان التاليف فيه ترجمة ، والترجمة فيه تأليف )).

والواقع ان الامة العربية ، عندما افاقت من عصور الظلام وكابوس الاستعمار الطويل ، وبدات تتحرك نحو التحرر والنور والثقافة والحضارة ، لم تكن مقصرة فى ميدان العلم فحسب ، بل كانت مقصرة فى الميدان الذى تابى الاعتراف بالتقصير فيه ، الا وهو ميدان الادب والثقافة . وربما كان تقصيرها فى هذا الميدان ابعد واكبر، ومن المؤكد انه اخطر من التقصير فى ميدان العلم واشد تأثيرا فى مصير النهضة العربية العامة .. لكن ما حال بين عرب القرن العشرين وبين مجابهة هذه الحقيقة المرة ، هو انهم غارقون — شعروا ام لم يشعروا — فى الوهم التخديرى اللذيذ الذى ينص على (( اننا استمرار

طبيعى ومشروع لاجدادنا العرب القدماء ، وبما ان العرب القــدماء كانوا قد ابدعوا ثروة ادبية مذهلة بغناها واصالتها وجمالها ، اذن فنحن ــ عرب اليوم ــ لا يمكن ان نكون عاجزين ادبيا أو مقصرين » ... استنتاج منطقى غريب مبنى على وهم تخديرى لذيذ ، ثم ركون كسول الى التثاؤب والنوم، مثل حراس على باب كنز الاجداد. مع ان الحارس جاهل على الرغم من انه ينام على باب كنــز الفــكــر . والمشكلة كلها تنحصر فى ان المدى الزمنى لفعل « كان » يمتد الى الف سنة او يتجاوزها .. والمطلوب احداث صدمة كهربائية هائلة تكفى لاحداث اليقظة الواعية الضرورية .

وسواء تم الاقرار بما نذهب اليه ام لا ، فانه لمن المكابرة عدم الاعتراف بأن عرب القرن العشرين ، عرب مرحلة المفصل ما بين عصور الظلام وبداية التحرك نحو التحرر والفوز ، عندما احتكــوا بمنجزات الحضارة الغربية ، قد ذهلوا ايما ذهول امام بنيان آداب الغرب الشامخة ، واخذوا اخذ انجراف بما تعرفوا عليه من تلــك الاداب وما لمسوه من نهضة فكرية رائعة ، فمنهم من كان رد فعله عاطفيا متعنتا ، فقال : « بل عندنا ما هو أفضل واروع واسمى » وتمسك بالتراث القديم بعناد واصرار ، وأخذ يحاول النسج عــلى المنوال القديم ، فتجاوزه التاريخ .. ومنهم من كان رد فعله واقعيا فسعى لدراسة آداب الغرب والتعرف على اسباب عزها وازدهارها، وتحرى ماضيها من قيم ومقومات اصالة ، فجرفه التيار دون وعى، فاذا به عربى يثائىء بلسان غربى ، ثم كان من بعده هذا الفوج مــن المقلدين ، الذين ما اسهل ان يعجبوا بقصة فرنسية مثلا ، اســم بطلتها كوليت ، « فيؤلفوا » لنا قصة مماثلة ، اسم بطلتها فطومة ، ويقولون : هاكم ادبا عربيا .

لست اقف عند ظاهرة معينة فى الادب العربى المعاصر ، ولكننى اقول ان اهم ظاهرة فى هذا النتاج الفكرى العربى الذى يجمع حصيلة السنين الخمسين الماضية انما هو نتاج غير اصيل . واتابع فاقول : ان اهم ظاهرة عجز وافتضاح وتقصير فى هذا الادب هى فى انجرافه فى تيار التقليد ، او فى استمرار انجرافه فى التيارات الاجنبية ، وفى ضعف شخصية محاولات غير المقلدين ... مما ادى — كما قلنا — الى وجود ادب (( الكارثة)) فيه مضاعفة .

فلا هو ادب عربى من جهة ، ولا هو ادب اجنبى من جهة اخرى

لا هو نتاج عربى خالص يقراه الاجنبى فيتعرف من خلاله على الانسان العربى ، ولا هو نتاج اجنبى خالص يقراه الانسان العربى بلغته فيتعرف من خلاله على حال اولئك الاجانب .

اذ ان ادباء العربية المعاصرين انما (( يترجمون )) حين ((يؤلفون)) .. ذلك لانهم يؤلفون والنموذج المثالى الاجنبى — الذى بهرهم — يظل مسيطرا على افكارهم وقيمهم بل ومفرداتهم وتعابيرهم فى كثير من الاحيان ، مثل كابوس لا يمكن التحرر منه ... انهم يؤلفون — يبدعون ، يبتكرون ، يخلقون ، وفى الذهن مخطط غريب ، وقيم غريبة ، وهموم غريبة ، واهداف مستعملة SECOND HAND هى حصيلة الانبهار المتواصل امام روائع النموذج المثالى الاجنبى ... وبعضهم يزيد الطين بلة بان يعجن هذا الطحين بطحين التراث العربى القديم : اسلوبا وقيما . وعليك بعد ذلك ان تتذوق الرغيف الهجين ، وان تستمتع بمضغه ، وان تقول : ما الذ وامتع .

مع انك لن تطيق شيئا من ذلك . لان النتاج الذى بين يديك ممسوخ مشوه . فهو ترجمة وليس تاليفا .. وما اصدق ان نستذكر هنا قول شارل ديكنز : (( ان الهموم المستعملة ، كالثياب المستعملة ، يسهل ارتداؤها ونزعها فى آن واحد )) .. وادب عرب اليوم ، مثل

فن عرب اليوم ، مثل مخلفات الجيش الاجنبى . لكنها مخلفات من نوع آخر : انها هموم الانسان واهتماماته ، موضوع الادب ابدا ... فنحن ندرس هموم الاخرين فى كتب الاخرين . وتعجبنا بل وتسحرنا قدرة الاخريـــن الرائعة على عرض همومهم والتعريف بانسانهم . فنتناول نحن هذه الهموم ونتبناها ، ثم نعيد عرضها عرضا سيئا ، ونقول : هـــاكـــم انسانـنـــا .

ثم ان ادباء العربية ، فى الوقت ذاته ، لا يكتفون بالمضى فى هذا الضلال ، بل انهم يمارسون ضلالا آخر قد يحول سنوات عديدة اخرى دون ايجاد بيئة عصرية صالحة لازدهار ادب عربى اصيل، قادر على مضاهاة الآداب العالمية الاخرى ، وذلك عندما يرتكب ادباؤنـــا خطيئة (( التأليف )) من خلال عملية ((الترجمة)) ... اى عندما يتقدم الواحد منهم لاداء مهمة خطيرة وجليلة ، الا وهى مهمة تعريفنا بعيون الادب العالمى واهم آثاره ، فيعطى نفسه حرية تصرف لا حد لها : فى اختيار الالفاظ والمفردات ، وفى الحذف والتلخيص ، وفى الصياغة واسلوب العرض ، وفى تعريب اللغة تعريبا جاهليا ان امكن ، حتى يقدم لنا صورة عربية للاصل الاجنبى ، بينها وبين ذلك الاصل اكثر مما بين تمثال (( المفكر )) لرودان وبين دمية من وحـــل صنعها علـــى نموذج ذلك التمثال طفل يلهو ...

اذن ففى راينا ان ادب عرب اليوم لم ينل جائزة نوبل لانه حتـــى الان ادب غير ذى اصالة ، غير ذى شخصية ، ادب مجروف ، خال من القيم التى تفرض نفسها على الثقافة العالمية .

اما الادعاءات العجيبة التى تصدر عن المـــتعـــصبين ــ وهم يتثاءبون فى دوامة من الكسل اللذيذ ــ على انها حجج منطقية كافية للاقناع بأن اهم سبب فى حرمان ادب العرب من جائزة نوبل ، كامن فى جهل الاجانب بأدبنا ، وان ((هناك اعمالا روائية عربية ناجحة تستطيع

ان تضاهى كثيرا من النماذج العالمية لو اتيحت لها ترجمة رائعة .. لكن ادبنا لا يزال حبيس الاقليمية ، ولم يطرق بعد الافاق العالميـــة الرحبة ليؤدى دوره فى التعريف بتطوراتنا واهتماماتنا » .. اقول : اما هذا الادعاء المجيب ــ وامثاله ــ فمرفوض بأدلة الواقع الدامغ. اذ انه لا يترجم الا ما هو اهل للترجمة . وها ان مكتبات الغــرب مليئة بما ترجمه ابناء الغرب من كنوز الادب العربى القديم .. وها ان الاوساط الفلسفية الغربية ، بعد ان تجاوزت كيركفارد وهيدجــر وسارتر ، نبشت المتصوف العربى الشامخ « محيى الدين بن العربى » من قبر النسيان ، ووضعته تحت احدث الاضواء . وها أن كتب أبن العربى وتآليفه وآثاره تترجم اليوم على نطاق واسع فى أكثر من بلد اوربى .. يترجمونها لانها ذات قيمة ، ولان الامل فيها ان تجيــب على اسئلة كثيرة لا تزال محور الاهتمامات الفكرية .

وبــعــد .

فقد يصح ان نطرح المشكلة على نحو آخر فنقول : ينال عربى جائزة نوبل عندما يقدم عرب اليوم لحضارة اليوم أدبا من مستوى الاداب التى تنال تلك الجائزة .

شــريــف الــراس

# خريف بلا عاصفة
# أو «دعوة للرياح»

للشاعر : عبد السلام الزيتونى

ثورى اقـاذفة الغبـار ودمـدمى حتى الصبـاح
وتمردى وارغـى كثـورة يائس دامـى الجـراح
فحـدائـق الزيتون قد نـامت مخضبة البطـاح
اوراقهـا صفر لوت جيـدا ودثرهـا وشـاح
وتهدلـت اغصانها المجفـاء تـومىء للريـاح

مرى علـى التل الحزين وتلعة الحقـل المـدار
واذرى عروقك والعقى عن كرمنـا بعض الغبـار
زفـى الـى الصمت الحديث وخبرى اهـل الديار
كى يشتروا نعش الخريف ويوقدوا فى الساح نـار
انشودة الاعصار اوقـع غنـوة بعـد احتضـار

حاذى الذرى فالذروة الكبرى تحن الـــى الزفيـــف
وتمردى عملاقـــة تهمـــى علـــى الحقـــل النحيـــف
الزيـــف عشعش فى الربـــى قزمـــا بدالا يستخيف
والبلبل الغريـــد مـــل ميوعـــة الصمـــت الوريـــف
نثنت سهول الـــدوح أن هادنتهـــــا هذا الخريـــف

مكناس ــ عبد السلام الزيتونى

قصة

# الذي يشرب النغم

.. وارتمى على الارض وسط الجموع الدائرية يتمرغ فى التراب ويتمرغ فيه . لقد سحرته الحان الشبابة الصفراء التى عزفت لحنا واحدا ثم سكتت ، واخذ يتمطط بعنف وينزع ثيابه بشكل وحشى مزق شيئا منها ، من كم قميصه وتحت ابطه الكثير الشعر ذى الرائحة النتنة ، وشيئا فشيئا ، عندما اخذ اللحن يستعيد ظهوره من جديد، على يدى العازف الواقف ، بدا يقف بمهل على ساقيه المرتعشتين مثل شخص سينفذ فيه حكم الاعدام للحظة ! كان يقوم بمساعدة شخص اسود اخذ يشده من ذراعيه ليوقفه وقفة تتناسب مع رقصه القادم ، ثم تركه بعد ذلك يتدبر «قضيته» وحده ، وبدا العزف .

ان لحن الشبابة شيء خطير .

وسار فى غيبوبة تامة ، كان فاتحا فمه الضيق ذا الاسنان الصفراء يتشرب الانغام من يد الرجل ذى الجلباب الرمادى ، كان هذا الاخير ينفخ بشبابته داخل فمه ، وكان يفعل ذلك بجهد ، حتى

لا يبقى مجال للشك ، وكانت الدائرة البشرية المختلفة الاعمار تنظر باندهاش واعجاب : ضارب الدف الاسمر الذى كان يطلق انغاما خافتة من حنجرته المبحوحة بشرب الشاى الكثير دوما ، يجب ان يفعل ذلك كيما يسير ضربه على الدف الى جانب نغمات الشبابة ، حيث تزداد توسعا واشتدادا قويا كلما احدث الراقص ، برجليه الحافيتين المتوسختين : دكات ودكات ! كان الراقص يرجع الى الوراء ليعيد الرقص بطريقة اولية ، يبقى خلالها سائرا بخطوات متتابعة حتى يصل ركبتى ضارب الدف الذى كان يجلس القرفصاء ، لقد اضحى الراقص لا يكتفى بذلك ، ولكنه ، بعد لحظات ، اخذ يلطم وجهه المرشح عرقا بكفه المريضة ، بل لقد نزع من خاصرته حزام سرواله البني وشرع ، عن وعى ظاهر ، يضرب وجهه بسياطات قوية : كان ذلك حول عينيه الحمراوين وانفه المنقط كبيض لديك رومى ، وفمه وكل دائرة راسه التى هى عديمة الكبر فى المحيط كان ينتقم لنفسه من نفسه ، واذ يحب الاسترسال ، كان يتكىء بكتفه على عازف الشبابة القصبية مثل قصب المروج ، وكان يبتسم بازدراء ، وكان العازف يلبى طلبه الصامت المثل فى تحريك الراس والذقن ، ان الراقص يحب كثرة الانغام المكررة ، والعازف نفسه يعرف لماذا اتكأ عليه لذا ، كان يدخل ذيل شبابته الصفراء فى حلقومه الجاف ، ويأخذ ذينفخ بجهد ، ويداه القابضتان الشبابة معلقتان فى الهواء ، ولكن فجاة ، ما لبث ضارب الدف الاسمر ان سارع فى الضرب والغناء ، كان يحب ان ينتهى سريعا ، لان الشمس اخذت تختفى وراء الافق ، وكان ، مع ذلك ، ملاحقا ضربه بنغمات الشبابة التى كانت هى الاخرى تسرع ودك الرجلين اللتين كان صاحبهما يلوح بيده فى الهواء مناديا شيئا ما ، شبحا ما ؟

×××

الدائرة البرية تندهش : كيف يعقل ان يفعل المرء مثل هذا ؟ اواه ..! ويستمر الراقص معيدا ضرب وجهه بالحزام ، يا

يا للفظاعة ! ويندهش تلاميذ صغار وقفوا منذ هنيهة . سوف يحلمون بذلك في الليل ، سوف يقفزون من الفرائش او يتبولون ! وقد يفعل مثلهم بعض النساء الحوامل اللواتي حوان الان وجوههن وهن يتقززن لرؤية هذه البشاعة ولقد خرج بعضهم من وسط الدائرة دون مسرة ، كن يولولن وهن ماضيات ! اما اللواتي تعودن على رؤية ما امامهن . نتيجة وجودهن دوما هنك ، فقد بقين حتى نهاية الفصل الاول من هذه «البروفة» الموسيقية التي سقط ضحيتها هذا الراقص المنبطح على الارض والبصاق الابيض مثل زيد البحر الملفوظ متناثر حـــون جوانب فمه المديم الشارب : كان مثل شهيد .

×××

ــ ان هذا شيء لا يحتمل ، انه فظيع .

ــ كيف تتصور انه يفعل ذلك ، هل يكون في حالة اللاوعي ؟

ــ من يدري ، ربما في حالة اللاوعي . ان نكل بسيكولوجيته .

ــ انا نفسي اكره اللاوعي . يجب ان يفرق المرء بينـــهـــما ، والافضل له ان يكون يقظا مهما كان تصرفه

ــ اوه ، لماذا تقصد فرويد ؟

ــ ولكن ، لماذا هذا الرقص الجنوني ؟

ــ يقال انه حنين الى البدائية المهجورة . ان الانسان اخـــــذ يتسلى بذلك . انظر الرسم الحديث .

ان كل البدويين عندنا يعشقون هذا الرقص ، ويوجد البعض منهم من يأكل صفائح التين الاعجمي الملآى بالشوك الذي في حجم المسامير ، كل ذلك من فرط اللاوعي .

ــ صحيح ؟

ــ اجل ، بالتاكيد ، انا نفسي رايت ذلك في مدن الجنوب

ــ « تفو .. يلعن دين .. يخ .. » آه ، قل لي : الا يمكـــن اقبار هذه المادة ؟

ـ بماذا ، انها جد قديمة ، والقضية تكمن فى اقبار اصحابها

ـ الواقع ان هذا كثير

ـ واكثر منه ان ينعت بالفولكلور

ـ انها لعبة مزيفة

ـ يجب اعادة التاريخ

ـ كـيـف ؟

ـ برؤية وضع العالم من جديد

ـ وهـذا العالم ؟

ـ انه مزيف ، اننا لا نرى سوى سطحياته

ـ واذن ؟

ـ يجب تعليم الانسان

ـ اجـل

ـ اننا ما زلنا متشبثين بالالهة التى انتفى عهدها

ـ الانسان فى حاجة الى خبز

ـ وهذا ما جعل هؤلاء يفعلون ذلك

ـ انا اكره اللاوعى

ـ وانـا احب الوعـى

ـ وانا كذلك

ـ وانا كذلـك

ـ لقـد اتفقنا

ـ نـعـم

ـ واذن يجب ان ننشره حتى يعم البشر

ـ وداعـا

ـ وداعـا

عندما انتهى العازف الطويل من طلب المال ، من عند الدائرة البشرية ، اخذ يدعو لها بجلب الرزق ، ثم ختم ذلك بقراءة الفاتحة، واذ ذاك عزف لحنا آخر اسقط ثلاثة اشخاص مختلفى الاعمار والاحجام ، لقد ارتمى كل واحد يتمرغ ، واخذ ينتفض ويتمطط بجهد كديك ذبح للحظة ، كانوا ينتفضون ويتمططون كلهم ، كانوا يطلبون من العازف ، واعينهم مغمضة ، ان يتابع العزف الذى بداه ، ان ايا منهم لا يمكن ان يخرج من وسط الدائرة البشرية دون ان يشبع اذناه ، وهم انفسهم ، يعرفون ذلك ، لكنهم يستحسبون العزف المسترسل ، اذ ان ضارب الدف ما زال بعد لم يضرب ، اتراه كان يغش ؟ : كان يحرق اوراقا كثيرة تحت الدف كيما يسمع له ، فى البداية ، رنين جميل يترك صدى ثانويا ، وكان الاشخاص الذين سقطوا برهة ما زالوا يترنحون ، كانوا يحتجون فى الداخل ، وكانوا يبدون كسكيرين من فرط الترنح ، وكان العازف يحاول، عبثا ان يسعفهم بأن كان يقترب منهم ويعزفه لهم قليلا ، وذلك ريثما يتهيأللعمل ضارب الدف . اما الدائرة البشرية ، التى اخذ افرادها يقلون ، فقد كانت تنتظر بداية هذه المرحلة الاخيرة ، كان فى يقينها انه لا بد من معرفة ذلك ، وبعد لحظة ، انطلق ضارب الدف يتكلم ويضرب فى نفس الواقت : لقد بدا ، كان يغنى ، وكان يضرب ، وقد تبعه العازف الطويل ويداه كالمادة ، معلقتان فى اسهواء قابضتين الشبابة القصبية ، واخذ الاشخاص الثلاثة يتحركون، لقد تعانقوا كلهم واخذوا يرفعون ارجلهم ببطء ، لكن بلا نظام ، كان رقصهم بدائيا لا طعم فيه ، وكان احدهم يدمدم بكلمات غامضة غير مفهومة . وكان احيانا يصرخ ، ويزعق بعنف ، كان ينادى شيئا ما ، شبحا ما ، واستمر الضرب والعزف يسيران ، كان غبار ينهض من الارض ببطء فيلصق سيقانهم ، وكانوا لا يبالون بذلك ،

وكانوا مرشحين عرقا كثيرا ، وكانت اقمصتهم مبللة ، كانوا يحبون ان يبدو كذلك ، وقد اسرعوا فى دك الارض حين اسرع العــازف وضارب الدف معا ، ينهيان المرحلة ، كان الثلاثة مثل احصنة هاربة اسقطت اصحابها . وكانوا يدمدمون ، وكانعطاف سيارة فى محل ما، سكت فجأة العازف وضارب الدف ، وسقط الاشخاص الثــلاثــة يتمرغون فى التراب ، كانت الشمس آخذة فى الاختفاء خلف الافق ، وكان الظلام اخذ يزحف ، وقد اراد العازف ان يطلب المال مرة اخرى، لكن الدائرة البشرية افرنقعت وتركته وحـــده يصيح ، فطلـــبه من صاحبه ان يقوم والقلق اخذ يغزو وجهه ، فيما بقى الراقصون الثلاثة يتمرغون ، وحين كانا يسيران ، سمعا لوم احد الحضور :

ــ ولكن ، حرام ، لماذا لا تضربان لهما ؟

فقال العازف ووجهه مقطب :

ــ هل يعطينا رقصهما خبزا . اننا بحاجة الى خبز .

وسكت ثم اضاف :

ــ عندما اردنا ان نطلب مالا قررتم ، اكملوا لهم انتم وكانـــا يسيران ، وكان الشخص يتبعهما بنظراته ، اما الثلاثة الذين ظلـــوا يتمرغون ، فقد تحلق حولهم بعض الاطفال .

البيضاء : ادريس هلال الخورى

تمثيلية جماعية قصيرة

# البئــر العميقــة

( الى الانسة خ ... مع تقديــرى )

بقــلــم :
ابراهيم بوعلــو



لــوحة اولــى :

منبسط به شجرة فريــدة
الــوقــت ضحــى
حوالى أربعة او خمسة فتيات يقفن تحت الشجرة للاستراحة،
وقد وضعن امامهن جرات المــاء.

**الفتيات** ( فى لغط : )
لنكســر الجرات التى بين ايدينا

لانهـــا تتعبنـــا
لانهـــا تستعبـــدنـــا
تعاليـــن نكسرهـــا لنتحـــرر ..
المســافـــة البعيـــدة التى نقطعها كل يوم عدة مرات
يلـــزم ان تختفى ..
والزمن الطويل الذى نقضيه فى جلب الماء
من المكـــان البعيد ،
حيث يتعرض اكثرنا للغصب ،
يلـــزم ان يضمحـــل ..
لنبـــق فى حقولنا نرعـــى طيورنا وزرعنا .
لنكســـر هاتـــه الجرات ،
فـــقـــد أضـــجـــرتنـــا
وعـــمـــنـــا اليـــأس ،
وليـــس امامنـــا غيـــر هـــذا الحـــل :
ان نكســـر الجـــرات

( تبدو امهاتهـــن من بعيـــد )
اذا صبرنـــا فسنغدو مثـــل امهاتنا ..
ايـــام عمرهن قضينها فى جلب الماء من القرية البعيدة ..
طفولتنا قضيناها على ظهورهن ،
والجرات فوق رؤوسهن
تسيـــل علينا منهـــا قطرات الماء
يلـــزم ان نكسر الجرات
لئـــلا نغدو مثلهـــن

**الامهات** ( وقد وضعن جراتهن امامهن للاستراحة : )
عجلـــن يـــا بنات
فشمس الضحى أخذت تتوسط السماء ،
هيـــا اسرعـــن .

**الفتيات** ( لا يجبن : ) ...

**الامـــهــــات :**

ماذا يدور فى رؤوسكن الصغيرة ..!!
نظراتكن اصبحت ثابتة ،
وعلت وجوهكن الشاحبة علامات الغضب ،
يلـــزم ان تبتهجن
فأيام الشباب لن تعرفنا مرتين ..

**الفتيـــات :**

اننا نفكر فى المستقبل

**الامهـــات :**

اتركن المستقبل للمستقبل

**الفتيـــات :**

لا .. لا ..
لقـــد فكرنـــا
وسنكسر جراتنـــا
لنبقـــى فى حقولنـــا
كيـــلا نعرف الغضـــب .

**الامهـــات** ( بغضب : )

اى تفكيـــر بليـــد هذا ..؟!
حقولنـــا ستجف
حيواناتنا ستموت ..
ستفنى كلنـــا اذا لم يكن لنا ماء
ولجلب المـــاء
لا بد مـــن تضحيـــات ..

**الفتيـــات :**

كفـــى .. كفـــى

لقد ادركنــا ذلك جيــدا
وادركنــا ، ايضا ، ان مستقبلنا لن يختلف عما انتم عليه الان .

**الامهــات :**

وماذا في استطاعتكن أن تصنعن
انكــن ضعيفات ...

**الفتيــات :**

سنكســر الجــرات

**الامهــات :**

وستمتن بعد ذلك ..

**الفتيــات :**

لنمت مــن الان .
لنمت ونحن صغيرات فذلك احسن .

**الامهــات :**

لا تقلــن ذلــك ..
ها هــم آباؤكــن قادمون
ارفعــن جراتكن
واسرعن في العودة ..
هــيــا أسرعــن .

**الفتيــات** ( لا يتحركــن : )

لا .. لا

**الامهــات :**

رحماكن .. رحماكن ..
لا تغضبــن آباءكــن ..
هيــا .. أسرعن ..

**الفتيــات :**

لا .. لا ..
لــــن ...

**الابـــاء** ( يضعون مماولهم جانبا ، ويمسكون بالجرات يشربون منها : )
ماؤكـــن العـــذب يذهب العطش
ويعيـــد لنـــا الحياة
ما اعظـــم عملكـــن
لكـــن منـــا الف شكـــر ..

**الامهـــات :**
هنيئـــا .. هنيئا
حياتكـــم اعـــز مـــا لدينـــا
نحـــن لهـــا اماء ..

**الابـــاء :**
مـــا للصغيـــرات مطرقات ؟!
هـــل هناك من شىء يردن قوله ؟

**الامهـــات :**
لا .. لا شىء
انهن يسترحن قبل ان يواصلن السير ..

**الفتيـــات :**
لن نسيـــر خطوة ثانية
نحـــو العـــذاب
نحـــو الغضب
نحـــو الهـــاوية ..
لقد قـــررنا كســـر الجرات .

**الابـــاء** ( فى استغراب : )
اى كلام هذا ..؟!
لا شك انكن حمقاوات
لا .. لا ..
لكن .. أحقـــا ما تقلـــن ؟

**الفتيـــات :**

نعــــم ..

**الآبـــــاء :**

ولماذا .. ؟

**الفتيـــات :**

لقد سئمـــنا هذا العمـــل
لسنـــا بحيوانسات ..

**الآبـــــاء ( فى غضب : )**

لم نتعود سماع كـــلام مثل هذا ..
وينبغى الا تردننه مـــرة اخرى
وان فعلتــــن فسيكون مصيركـــن الجلد ..

**الامهـــات ( فى استرحام : )**

انهـــن صغيرات لا يعنين ما يقلنـــه ،
اصفحوا عنهـــن فهن حمقاوات ..
واتركوا لنا امرهـــن
نستعمل على اخضاعهن للاوامر ..

**الآبــــاء ( يرفعون معاولهم محاولين الانصراف : )**

حسنـــا .. سنرى ..

**الفتيـــات :**

لا تتحركوا قبل ان تسمعوا
لقد قررنـــا كســـــر الجـــرات
ولـــن نملاها بعــــد اليوم ماءا
لقد قررنســـا كســـر الجـــرات
ولكم ان تفعلوا بنا ما تشاءون

**الابـــــاء :**

هكذا اذن .. ؟

( ينتحون ناحية ، كما لو كانوا يتبادلون الراى ، ثم ما يلبثون ان يقتربوا مـــن بناتهـــم : )

هل صممتـــــن العزم علـــى الا تجلبـــن المـــاء .. ؟

**الفتيـــات :**

اجــــــل ..

**الابـــــاء :**

وتتركـــن امهاتكـــن وحدهـــن فى عــذاب ؟

**الفتيـــات :**

ليكـــــرن جراتهـــــن ايضـــا ..

**الابـــــاء :**

والمـــاء .. ؟

من ايـــن لنـــا بالماء .. ؟

**الفتيـــات :**

لنحفر بئرا

كما للاخــــرين آبـــارا

اليس تحتنـــا مـــاء .. ؟

**الامهـــات :**

الاقدمون حفروا

فلم يجدوا مــــــاءا

**الابـــــاء :**

وكثيرون منـــا حفـــروا

حفروا مرارا ، فلم يصلوا الـــى مـــاء ..

**الفتيـــات :**

اعيدو كلكم الحفر مـــرة اخرى

اعيدوه حتى ينبع الماء
وسينبع الماء ..
**الابــــاء :**
سنــــرى
امـــا الان فعجلـــن بالعودة ..
**الفتيـــات :**
لا ..
قبــل ذلك ، نريد منكــم كلمـــة الشرف ..
**الامهـــات :**
استحييــن يـــا بنـــات ..
**الابـــاء :** ( يبتسمون : )
اسمعـــن يسا بنـــات :
سنجمـــع سكـــان القريـــة
وسنعرض عليهـــم رغبتكـــن ،
لكـــن منـــا كلمـــة الشرف .
**الفتيـــات** ( مبتهجات : )
شكـــرا .. شكـــرا
لقد فتحتـــم امامنـــا طريـــق الامـــل ..
( يظهر المشعـــوذ قادمـــا : )
ماذا يريد المشعـــوذ منـــا .. ؟
انه يتجه نحونـــا ..
تعاليـــن نذهـــب .
( المشعوذ يشير لهن بيده )
انه يشير علينا ان نقـــف .
**الابـــاء :**
تريثـــن يـــا بنـــات ..

**المشعــوذ :**

فيــم اجتماعــكم ؟

**الابنــاء :**

ماذا تريـــد .. ؟

**المشعــوذ :**

انا اقول لنفسى دائما :
اذا مــــا اجتمــع النــاس
فمــا فى ذلــك الا ضررهــم ..
اخبرونـــى فيــم كنتــم تتحدثـــون
اظهر لكـــم انكــم علــى خطــا .

**الابنــاء :**

ومن ايــن علمــت .. ؟

**المشعــوذ :**

هـــذه سنـــة الكـــون :
تفكيــر الانســـان الوحيــد
تفكيــر سليـــم .
تفكيــــر الجماعـــة
يقـــودها الـــى الهـــلاك .

**الابنــاء :**

لقد اخطــــأت هــذه المرة ..

**المشعــوذ :**

لـــماذا ؟

**الابنــاء :**

لم نكن نفكــر فى شــــىء

**المشعــوذ :**

من مــــدة طويــــلة

وانـــــا اراكـــــم تتحاورون
وكل حوار ينتهـــى بنتيجة
وكل نتيجة تنتهـــى اليها الجماعة خاطئة ..
فيه هـــلاكهـــا
وهى لا تـــدرى

**الامهـــات :**

لقد فكرنـــا فى حفـــر بئر ..

**المشعـــوذ :**

ارايـــــتم ! ؟
لقد اخذتم تعملون علـــى هلاككـــــم ..

**الآبـــــاء :**

لمـــــاذا ؟

**المشعـــوذ :**

الم تعلموا ان بالقرية عدة آبـــــار
شرع مـــن قبلكم فى حفـــرها ولـــم يتمهـــا ؟

**الآبـــــاء :**

لمـــــاذا .. ؟

**المشعـــوذ :**

لانه محظور على هذه القريـــة ان تكون لهـــا آبـــــار ..
الاقدمـــون حفـــروا
فاصابتهم اللعنة ، ولم يتموا حفرهم .

**الآبـــــاء :**

ولكننا سنحفـــــر مـــرة اخرى ..

**المشعـــوذ :**

ولمـــــاذا ؟

**الآبـــــاء :**

حتى لا يتعرض بناتنا ، وزوجاتنا للغصـــــب

وحتى ندرك اننـــا احيـــاء
نستطيـــع ان نقوم بشـيء .

**المشعــوذ :**

انكم لن تتموا الحفـــــر
لان كـــل مـــن سينزل البئـــر
سيمـــوت ..
ستموتون جميعا .. الواحد بعد الاخر ،
ان في حفر البئـــر هلاككـــــم

**الجميــع :**

ومع ذلـــك سنحفـــرها
وليس بمستطيـــع اى كـــان
أن يتنبأ ، بعد اليوم ، بمصيرنا ..
أننا جميعا نشعر بالماء يجرى من تحتنـــا
غيـــر ان الخـــوف
الخوف مـــن الاوهـــام
كان يمنعنـــا مـــن الحفـــر
اما الان فسنعمـــل علـــى حفرها ..
سنحفر كلنا .. البئر .. البئر العميقة .

**المشعــوذ :**

لن ينفعكـــم صياحكـــم ..
أنتم واهمـــون ...
أنتم واهمـــون ..
ان فيكم من لا يزال يخاف
ان فيكم من لا يزال يتردد

**الجميـــع :**

ومهما يكـــن
فليس ذلك بمستطيع ان يمنعنا ..

لاننا سنقتل الخـــوف
سنقتل التردد
وسنشرب ماءنـــــا
الماء الذى تعبنا من اجلـــه
والذى ذهب ضحيته من سبقونا .

**المشعـــوذ ( مقهورا ) :**

سنرى .. سنرى ..
(ينصرف :)
سترون .. سترون .

**الابـــــاء :**

لنشتغل الان ،
وعنـــد المســـاء
سنجمع القريـــة .
( يفترقـــون )

**لـــوحة ثانيـــة :**

**عند هضبـــة بالقريـــة**

عدد كبير من الناس بأيديهم قناديل يداعب ضوءها النسيم.

**الجماعـــة :**

كلنا هنـــا .. كلنـــا هنـــا
فيـــم اجتماعنـــــا ؟

**الابـــــاء :**

لننتظر قليلا ليقدم المتأخرون .

**الجماعـــة :**

ان مـــن يتأخـــر لا يهتـــم بجماعتنا
ولن يدلى باى راى ..

**الابـــــاء :**

اذن لنشرع فى العمل :
فى صباح هذا اليوم
بناتنـــا رفضـــن العمـــل
واحببـــن كسر الجســـرات
واقترحـــن حفـــر الابـــار ..

**الجماعـــة :**

ماذا .. ؟ ! ماذا .. ؟ !

**الابـــــاء :**

نعم .. حفـــر الابـــار ..

**الجماعـــة :**

وبماذا اجبتموهـــــن ؟

**الابـــاء :**

الراى للجميع
لا بد ان تنظـــر القرية فى ذلك ..
ومن اجل هذا اجتماعنا ..

**الجماعـــة :**

كان يلزم ان تمنعوهن من التفكير فى حفر البئر
وتـــذكـــروهن بـــان آباءنــــا
وآبـــاء آبـــائنـــا
وآبـــاء آبـــاء آبـــائنـــا
كانوا يجلبون الماء

**الابـــاء :**

ذكـــرنـــاهـــن بـــذلـــك
وان كنا واثقين بانه يوجـــد تحتنـــا ماء ..
والجميع يدرك ان الماء ليس بعيدا منا ..

**الجماعــة :**

ولـــكـــن ..
لماذا اسلافنا لم يفكروا فى حفـــر البئر ؟
لا شــك ان لهـــم ســـرا

**الابـــاء :**

لـــم يخبـــرونـــا بسرهـــم
ومـــضـــوا
مما يفيـــد ان ليس لهـــم اسرار
والا لاخبرونا بهـــا قبل ان يمضوا .

**الجماعــة :**

الســـر لا يفشى
والا لما سمى ســـرا

**الابـــاء :**

اذن لم نرث منهم سرا
نحن أحـــرار فى حفر البئر ..

**الجماعــة :**

ولـــم تكـــن لهـــم آبـــار
ولكن ، منـــا من شـــرع فى حفـــر البئـــر
ولـــم يتمها ..

**الابـــاء :**

لاننـــا لم نحفرهـــا كلنـــا
كانـــوا فـــرادى
ومشروع عظيـــم
يحتـــاج الى جهود عظيمة
الى جهـــودنـــا جميعـــا
لنتشجـــع ونحفـــر البئر .

**الجماعــة :**

وماذا ستصنع بناتنا طيلة النهار ؟
انــه لن يبقى لهن شغــل .

**الابــاء :**

سيرعيــن الماشيــة
وسيغزلن الصــوف
واشياء أخرى كثيرة .
( تسمع جلبة ...
( البنات يمتلين الهضبة )

**الجماعــة :**

تقررون امورا كثيرة فى غيبتنا
من غير ان تــاخــذوا راينــا .

**البنــات :**

متــى كنــا ناخــذ بآراء النساء ..؟!
لاننا نحن اللائى عرفنا الغصب
عــرفــنــا الــتــعــب .

**الابــاء ( للبنات : )**

لقد ابلغنا الجماعة رغبتكن
وسنتداول فى شانها
هيــا .. اذهبن الان بعيــدا ..
ومتى حصلنــا على نتيجــة
اخبرناكــن بــهــا .

**البنات ( وهن ينصرفن : )**

لنا ثقــة فيكــم
لقــد اخذتــم تتفهمون مشــاكلنــا ..
( ينصرفــن )

**الجماعـــة : هذه وقاحة ..**

المرأة ليس لهـــا راى
المـــرأة كـــالشـــاة
يجب ان تسيـــر
حيث اشـــار عليها الراعى

**الابـــاء :**

راعينـــا **العقـــل**
والعقـــل وحـــده الـــذى بهديـــه نسير
الا تعتقدون بأن لهـــن عقلا ..؟

**الجماعـــة :**

متـــى كنا نأخـــذ بـــرأى النساء ؟
ومتـــى كنا نفكر فى حفر بئر
ان هـــذا خروج عن المألوف .. عن التقاليد .

**الابـــاء :**

لنفكـــر جديـــا فى الموضوع
نحن دائما نسمع باغتصاب بناتنا
لماذا لا نرجع الى السبيل السوى
فنفكر فى امرهـــن قليـــلا

**الجماعـــة :**

ولكنهن الان يرفضن العمل ..
يرفضن جلب الماء
فنفكـــر جديـــا فى الموضوع
انهـــن يعلن بذلـــك خروجهن عن تقاليـــد القريـــة
وينبغـــى أن نؤدبهـــن .

**الابـــاء :**

ليكـــن ذلـــك ،

بيد انـــه لا بد من ان نفكـــر :
من منـــا لا يتذكر فى صبـــاه
امه التـــى كانـــت تتعـــب امامـــه
فيتحســـر ، وينتظـــر ان يكبـــر
ليخفـــف عنهـــا الالم .
وامهاتنا .. ؟
الم يكن ينتظرننا ان نكبـــر
لكى نبعد عنهن التعب ؟
ولكن ما ذا ترانـــا صنعنـــا
تركنـــاهن فى حالتهـــن
يتألمـــن .. يتعبـــن ..

**الجماعـــة :**

وما دامت امهاتنا قد ادين واجبهـــن
فلماذا هؤلاء يردن التخلـــى عنـــه
يلزم ان يتعبـــن هن الاخريـــات .

**الابـــاء :**

ليس هذا منطقـــا سليمـــا .
يكفى ان نكون قساة مع امهاتنـــا ..
ولا نتمادى فى الخطـــأ
ولنصلح الخطأ مـــرة واحدة والـــى الابـــد
ولنحفـــر البئـــر
لنحفرهـــا جميعنـــا
الى ان ينبـــع الماء .
ولا نترك فرصة للمشـــعوذيـــن
ليخططوا مستقبلنـــا ..
ويستهزئوا منا كلمـــا راونا نتداول فى شؤوننـــا
وحتـــى لا نتركهـــم يقولون :

راى الجماعـــة خاطىء
يقودها الى الهـــلاك ..
وحتى لا نترك جيراننـــــا
يضحكون من اجتماعنا اذا ما انتهى الى الفشل ..

**الجماعة** ( تنتحى ناحية .. يسمع لغطهم الصاخب وهم يتناقشون : )

الحمقى .. الابـــاء .. البئـــر
الجيران .. البئر .. المشموذون ..
البنـــات .. الحقـــول .. البهائم ..
نحن .. المساء .. جميعنـــا ..
( تعـــود الجماعـــة )

**الجماعـــة :**

من منـــا سيبـــدأ فى حفـــر البئر .. ؟

**الابـــاء :**

نقســـم العمـــل ..

**الجماعـــة :**

وكيف .. ؟

**الابـــاء :**

هنـــاك من يشتغـــل نهـــارا
وآخـــرون ليـــلا

**الجماعـــة :**

الليـــل .. ؟ ! الليل .. ؟ !

**الابـــاء :**

لـــن نترك فرصة تضيـــع
سنشتغل ليل نهـــار
حتى لا يتســـرب الينـــا الملل ..
وحتى لا يفتـــر حماسنـــا ..

**الجماعـــة :**

**العمل ليلا سيكلفنا كثيــرا**
**لاننا نحتاج الـــى راحـــة**
**ولا نستطيـــع العمل فى حقولنا نهارا .**

**الابنـــاء :**

لن نفكر فى اى شىء آخر
لن نشتغل لانفسنا
لن نقسم اوقاتنا بيـــن اعمالنا
وحفـــد البئـــر
سيكون لنا اهتمام واحـــد :

البئـــر

ومتى انتهينا من حفرها
عاد كل الى سالف عمله .
جهودنا ينبغى الا تضيع
اهتمـــام واحـــد
بئرا واحـــدة
يشرب منها الجميـــع .

**الجماعـــة :**

ليـــس كل الجميـــع
لان من لا يشتغل فيها
لا حـــق له فيهـــا
البئـــر لمن يحفرهـــا

**الابنـــاء :**

موافقـــون :
البئـــر لمن يحفرها ..

**الجماعــة :**

متــى سنشرع فى العمــل

( يظهــر المشعــوذ )

**المشعــوذ :**

ليس الان . .

ليس الان . .

**الابـــاء :**

ايــن كنــت . . ؟

**المشعــوذ :**

كنــت مع افكـــارى

كانــت تحدثنــى وتقــول :

« لقــد عــم القريــة هول فظيــع

البئـــر العميقــة

ستبتلـــع الجميـــع » .

**الابـــاء :**

وبمـــا ذا اجبتهـــا ؟

**المشعــوذ :**

كنــت أجيبهـــا :

« ما دمت فيهم

لن اتركهــم يخســرون

ويهلكــون » .

**الابـــاء :**

احقـــا ما تقــول . . ؟ !

**المشعــوذ :**

نعــم . . نعـــم

لـــن اترككم تهلكــون .

**الجماعـــة :**

وكيـف ذلـــك ؟

الجماعـــة اذا قررت شيئـــا

فان ايـا كـان

ليس بمستطيـع ان يصدهـا عن قرارها ..

الافضل لك ان تبتعـد.

**المشعـوذ :**

لمـــاذا ؟

الانني اسعـــى لخيركـــم ؟

**الجماعـــة :**

خيرنـا فى المـاء

والمـاء من تحتنا يفور

وأمثالـك لا يصنعون شيئـا

( الجماعة تنتحى ناحية للمناقشـة )

**الآبـــاء :**

ولا يتركون آخرين يصنعون

**المشعـوذ :**

انتـم واهمـون ..

انتـم واهمـون ..

ليـس تحتكـم مـاء ..

ولن اترككم لافكاركـم الخرقـاء ..

ولن اترككم علـى ضـلال ..

( تعود الجماعـة )

**الجماعـــة :**

هل انـــت مـــن قريتنـــا ؟

**المشعـوذ :**

نعم ... من زمن طويل ..

**الجماعـــة :**

هل تريد خيرنـــــا .. ؟

**المشعـــوذ :**

لستم فى حاجة الى جواب ..
انتم تعرفوننى ..
سبق ان كنت صديقا لابائكـــم
وكم نصحتـــهم
يـــا لابائكم الموقريـــن
كانوا يسمعون النصح .. !

**الجماعـــة :**

ولم يحفروا البئـــــر ..
وتركونا نشقـــى ..
وامهاتنا وبناتنا يتالمـــن
كم اذنبت فى حقهـــن
كم اذنبت فى حقنـــــا .

**المشعـــوذ :**

لا تقولـــوا ذلـــك ..
لا تقولـــوا ذلك .

**الجماعـــة :**

لقد اقترحنا اختبارا
نمتحـــن به كل من يسعـــى لخيرنـــا
ان نطلب منه دمه ..

**المشعـــوذ :**

لمـــاذا ؟ !

**الجماعـــة :**

نقدمـــه للبئـــــر

المشعــوذ :
ما ذا تقولــون .. ؟ !
الجماعــة :
هــل تسمـــح لنا بدمــك ؟
المشعــوذ :
لا .. لا .. لن اسمح لكم بذلــك ..
يا للهوح .. ! يــا للهو .. !
الجماعــة :
القريـــة فى حاجة الــى بئــر
والبئــر فى حاجة الـــى دم
والدم الطاهر دمـــك
لا تبخل على قريتـــنا بـــه
كما لــم تبخل عليها بنصحــك ..
المشعــوذ :
لســـت من قريتكـــم
لست مـــن قريتكـــم
الابــــاء :
هيـــا ارحل عنـــا بعيـــدا
بعيـــدا .. بعيـــدا
المشعــوذ :
وباسرع ما يمكـــــن
لن ابقى بينكم ثانيــة
ساتركـــكم .. ولن اعــود اليكــم ..
( ينصـــرف )
الجميــع :
لقد انصرف عنــا المشعـــوذ
وذهبـــت معـــه افكاره

ويقينـا وحـدنا .. فى قريتنـا
لنحفـر بئرنـا
جميعنـا .. جميعنـا ..
لقد انصرف عنا المشعـوذ
وذهبـت معـه افكـاره
فاستعـدى ايتهـا الارض
لتمنحينـا ماءك النميـر .

**لوحـة ثالثـة :**

هضبة من تراب .. من ورائها عدة اشجـار .
صباحـا .
الفتيـات يستدرن فى حلقة حول فم البئـر .

**الفتيـات :**

مـا اعظم عمـل الرجـال !
ما اقوى العضـلات السمراء
تعرف كيـف تحفـر ،
كيف تخـرج مـن الصخـر
الماء النميـر
تعاليـن يـا بنـات
نرقـص للعمل العظيـم
عمـل الرجـال ..
( يرقصن وهن يدرن بالبئـر )

**الامهـات** ( وهن ينظرن الى داخل البئـر : )

اننا لا نسمـع اى صـوت ..
اننا نخشـى ان تصدق نبوءة المشعـوذ
فكثيـرا ما نقـول : انهـم محتالـون ..

غير ان هذه البئــــر ستظهــــر لنا صــدق ذلــــك ..
ان رجالنا داخل البئــر ..
لم يعــد يسمــع لهم اى صــوت .

**الفتيــات :**

لا تغلقــن عليهم فم البــئر
انهــم يبتعدون يوما عــن يــوم
فالبئــر عميقـــة .

**الامهــات :**

لقد كنــا نسمعهــم من قبـــل
ويسمعـــوننــا

**الفتيــات :**

انهم يلتحقــون باغـــوار سحيقـــة
ولا حاجــة بهم الى كــلام
انهم يعملون فى صمـــت .

**الامهــات :**

ولكننا نخشى عليهم من الخطـــر
ونبوءة المشعوذ تستحوذ علينـــا
والساعـــة الرهيبـــة قد ازفـــت
حتى اننـــا فى كل لحظـــة
نعتقد انهم التحقــوا بالعــدم .

**الفتيــات :**

لا تخشيـــن شيـــئا
لقد حدثناهـــم هـــذا الصبـــاح
واجابـــوننـــا ..
وطلبـــوا منـــا ان نبتعــد عنهـــم
انهم فى حاجة الى عمل رزين

فلربما سينبع الماء
فى هذا الصباح .
**الامهــات :**
اننا لا نسمع صوت معاولهــم
**الفتيــات :**
ابتعدن عن فــم البئر
واتركــن لهــم الهــواء
حتى لا يختنقوا
**الامهــات :**
اننا نخشى ان نصبح ارامل
ان نحــن فقدناهــم .
مــن ســوء حظنــا
لن الفرقــة الاخيرة
كــانــت من ازواجنــا
**الفتيــات : بل مــن حسن حظنــا**
ان على يد آبائنا سينبع الماء ..
وسنــرفــع الرؤوس بين البنات
وسيشير الناس الينا بالاصابع وهم يقولون :
آبــاء هؤلاء فجروا الماء ..
تعاليــن نرقص
للعمــل العظيــم .
(يتماسكن بالايدى ، ويدرن على فم البئر ، وهن يرقصن )
**الامهــات :**
ان قلوبنــا تحتــرق
نحــن فى لحظــة رهيبة
**الامهــات :**
قــد ينفجــر الماء
فتسعـــدن

وقـــد يهلك آباؤكـــن
فتبتئسن
مـــا اشد خفقـات قلوبنـــا
اننا نحس بها تكاد تتوقف .

**الفتيـــات :**

ليست الا لحظة واحـــدة
وآمالنـــا تتحقـــق
نحـــن نشعـــر بالماء يضطرب
وهـــو يستعد ليرى النور
وسنشرب منه بعد قليل ..
سنشرب نخب الرجال العظام
الذيـــن حققوا الامال ..
واسعـــدوا الجميـــع ..

**الامهـــات :**

ما اسعدكن بتفاؤلكن ..
نرجو ان يستمر .
( يسمع صوت بعيد من داخل البئر )
( الفتيات يقتربن من فم البئر .. )

**الفتيـــات :**

يطلبون الحبـــال ..
هاتـــوا الحبال ..
هاتـــوا الحبال ..
( يرمين بها داخل البئر )

**الامهـــات :**

ولـــــماذا .. ؟

**الفتيـــات :**

**الامهـــات :**

ربما الماء نبـــع ..
(فى شرود : ) من يدرى .. ربما ستنتهى اعمالهم
وسينتهى عذابنا
ونستريح
ما اسعد المراة اذ تستريح
بعد عـــذاب طويـــل .،

**الفتيـــات :**

حقا .. انتن فى حاجة الى راحة
لقـــد ضمرت اجسادكن
وفيكـــن من شـــاخـــت
قبـــل الاوان .

**الامهـــات :**

الان .. سيعود لنا الشباب
وسنستقبل عهـــدا جديدا
نربى فيـــه الصغار ..
ولا نتركهم فى البيوت وحدهـــم
مـــع الكـــلاب ..
ما اجمل الصغار ، وهم بين امهاتهم ..!
(يسمعون صوتا آخر من قعر البئر )

**الفتيـــات :**

يطلبون ان نمسك الحبل الغليظ
فـــلا شك ان احدهم سيصعد ..
( يمسكن بالحبل جميعا )

**الامهـــات :**

احـــذرن يا بنـــات
فروح رجل عظيم بين ايديكن .
( يصعد رجل بعد قليل )

**الرجــل** : ( وهو يمسح العرق عن جبينه : )
شكـــرا .. شكرا
**الفتيـــات** :
لماذا صعـــدت ..؟
**الرجــل** :
الهـــواء نقى هنـــا ..
ومنعش أيضـــا ..
ما اجملكن أيتها الصغيـــرات ..
**الفتيـــات** :
قل لنا .. لماذا صعدت ..؟!
**الامهـــات** : اجبنا .. هل من خطر ..؟
**الرجــــل** : لا تخشين شيئا ..
فالتراب إصبح مبللا
غير ان صخرة لعينة
تمانع فى الامتثال
لفؤوسنا القويـــة
ونحتاج الى مساعدتهم بالحبل .
اقتربـــن منـــى
امسكـــن بهذا الحبل .
وانتـــن يـــا بنات
ابتعـــدن قليلا وانتن تجذبـــن الحبل .
استمعن لاوامرى ،
فهذه مرحلة دقيقة .
( يمتثلن جميعا لما يقول .. وبعد مدة : )
اللعينة .. اللعينة
اى شىء تصنعينه ايتها الصخرة

فى البعد السحيق ؟
اللعينة .. اللعينة ..
( يسمعون صوتا من قعر البئر )
لا تقمن بـــأى شىء
لا تتحركــن ..
( يصيخ بسمعه الى البئر )
ماذا تقولون ..؟
( بعـــد برهة )
يـــا بنـــات
اتركـــن الحبـــل ينـــزل ..
كفـــى .. كفـــى
لقـــد استرحنـــا من اللعينة ..
سيربطونهـــا بالحبال لنخرجها ..
احذرن ان تتهـــاون
فالخطـــر قريب منـــا
ربما قتلنـــا الجميع
**الامهـــات :**
سنعمل ما فى وسعنا
لنخـــرجهـــا ..
ولن نتركها ولو كلفتنا ارواحنا ..
(يسمعون صياحا من داخل البئر)
**الرجل** ( بعد ان يصيخ بسمعه لداخل البئر : )
امسكن بالحبال
واجذبـــن بقـــوة
فرقتنا سيئة الحظ
وتحتاج الى معونة .

**الفتيـــات :**

هل ننادى على اناس آخريـــــن ؟

**الرجــل :**

لسنا فى حاجة الـــى احد
اذا ما بذلتن كل طاقاتكن

**الامهـــات :**

اعــط اوامـــــرك
وسنلبيهـــا جميعـا .

**الرجــل :**

حسنــــا ..
امسكــــن جميعـــا بهذا الحبــل
وستجذبنه كلما اشرت عليكن بذلك ..
( يمتثلن لاوامره ، ويسمع : هي .. هوب .. هي ..
هـــوب .. هـــى .. هـــوب ... الى ان تظهــر الصخرة )

**الفتيـــات :**

( وهـــن يلتفـن بالصخرة : )
اللعينـــــة .. لو فلتت منـــا
لقتلـــت آباءنــــا
وآمالنـــــا ..
واهلكـــت قريتنــــا ..

**الرجــل :**

سأنزل لاساعدهـــم
احذرن هذه المــــرة
فاذا ما فلتت منكن
فاننى سامــــوت .
ولربما قتلت معـــى آخريـــن .

امسكن بحبلى جيدا .
( ينزل البئر )
( بعد برهة )

**الامهات :**
كم نحتاج الى صبر

**الفتيات :**
العمل العظيم
لا يتم فى وقت قصير

**الامهات :**
نخشى الا يتم

**الفتيات :**
لا تكن متشائمات
فالتراب المبلول
يعلن عن قرب الماء ..

**الامهات :**
حقا .. حقا .. ؟
لم يبق الا وقت قصير .
لم يبق الا وقت قصير .
( بعد برهة يسمعون صياحا من داخل البئر )

**الفتيات** ( فى ابتهاج عميق : )
هاتوا الدلو ..
الماء .. الماء ..
لقد تفجر الماء
( يعانقن امهاتهن .. يعانقن بعضهن بعضا )
الماء .. الماء ..
تحققت المعجزة
تحقق الامل الكبير .

( يرفعن الدلو من البئر )

**الامهات :**

اشربن انتن اولا

**الفتيات :**

بل انتن يا امهات

**الامهات :**

لنشرب جميعنا

الماء .. الماء .. الماء ..

**الفتيات :**

يحق لنا الان ان نكسر الجرات

التى كانت تستعبدنا

والتى كانت تقتلنا

لقد تحررنا ..

تحررنا .. تحررنا .

**سلا — فشت ١٩٦٤**

**فشت ١٩٦٤**

# (سارتر) وجائزة نوبل

للمرة الثالثة ترفض جائزة نوبل منذ ان تاسست سنة ١٨٩٦ وهو التاريخ الذى مات فيه الفرد نوبل مخترع الديناميت . كان اول من رفض جائزة نوبل للآداب هو الاديب الانجليزى ( برنارد شو ) عندما منحت له عام ١٩٢٦ ، فتبرع بمقدار الجائزة الذى يبلغ تسعة عشر الف جنيه استرلينى الى مؤسسة تقوم بترجمة الكتب السويدية الى الانجليزية .

والاديب الثانى الذى رفض الجائزة ( بوريس باسترناك ) السوفياتى الذى احدث ضجة فى الاوساط الادبية عندما نشر كتابه « الدكتور جيفاغو » . وباسترناك قبل الجائزة فى بداية الامر سنة ١٩٥٦ الا انه اعلن رفضه لها بعد يومين من قبوله وذلك بعد ان منعته سلطات موسكو من القدوم الى سطوكهولم لتسلم الجائزة .

اما سارتر فان رفضه لجائزة نوبل يختلف عن رفض سابقيه ، فقد اعلن سارتر عن رفضه للجائزة قبل ان تمنح له مما اوقع اعضاء الاكاديمية السويدية فى حيرة من امرهم . فسارتر لم يكتف بان رفض الجائزة الا انه برر هذا الرفض تبريرا ينسجم ،

الى حد كبير ، مـع آرائـه الفلسفية . وموقف سارتر ازاء جائزة نوبل يعتبر موقفا مشرفا له ويضاف الى جملة المواقف المشرفة التى اتخذها اكثر من مـرة .

واستند سارتر فى رفضه للجائزة ، حسب قوله ، الى نوعين من الاسباب : اسباب شخصية واسباب موضوعية . ولم يذكر ما هى الاسباب الشخصية التى دفعته الى رفض الجائزة ، واقتصر على ذكر الاسباب الموضوعية . الا ان الشىء الذى يدعو الى التساؤل هو ما يأتى : هل الاسباب الموضوعية التى ذكرها هى من القوة بحيث يمكن أن تكون كافية لتبرير رفضه الجائزة ؟ لنستمع اليه يحدثنا عن الاسباب الموضوعية :

**« ان الكاتب الذى يتخذ مواقف سياسية واجتماعية او ادبية يجب أن يعمل فقط بوسائله الخاصة اى بالكتابة . فجميع ما يتلقاه من تمييزات خارجية سيعرض حتما قراءه لضغط لا ارى انه مرغوب فيه ».**

واضاف :

**« ان المعركة التى يمكن ان تقوم الان على الصعيد الثقافى هى معركة التعايش السلمى بين ثقافتين متقابلتين : ثقافة شرقية واخرى غربية . وانى لاعلم بأن تصادم هاتين الثقافتين لابد وأن يكتسى صبغة الصراع ولكنه صراع يجب ان يمتد الى الاشخاص والى الثقافات دون اى تدخل او تأثير ايديولوجى ».**

وبعد ان بين الاسباب التى من اجلها يرى أن التناقض ما يزال قائما بين هاتين الثقافتين قال :

**« ان ميولى تتجه نحو الاشتراكية او نحو ما يسمى بالمعسكر الشرقى . ولكننى ولدت ونشأت فى اسرة بورجوازية ، ولهذا فاننى لن اقبل اى جائزة**

**تمنحها لى مؤسسة ثقافية عليا سواء كانــت فى الشــرق او فى الغرب . وسارفض مثلا جائزة لينين للسلام فيما لو منحت لى ».**

ثم حدد سارتر ما تعنيه جائزة نوبل فقال :

**« ان جائزة نوبل تعتبر فى المرحلة الراهنة امتيازا يمنـــح لادباء الغرب وللادباء الثائريـن فى الشرق . وانه لمما يؤسـف له ان تمنح جائزة نوبل لباسترناك قبـل ان تمنــح لشولوكــون ، وان يكون العمل الادبى الوحيد الذى فاز بجائزة نوبل فى روسيا معروفا فى الخارج وممنوعــا فى روسيا نفسها » .**

واضاف جان بول سارتـــر موضحا فكرته :

**« لقد كنت مستعدا لقبــول جائزة نوبل مع كامل الامتنـــان اثناء حرب الجزائر حينما وقــع مائة وواحد وعشرون كاتبا عريضة تطالب باستقلال الجزائر . لـو منحت الجائزة لى فى ذلك الوقت لكانت شرفا وتقديرا للحرية التى كافحت من اجلها . ولكن شيئــا من هذا لم يقــع »**

وانتقل سارتر لسبب موضوعى اخر دعاه لرفض الجائزة . فقال :

**« ان الامر يتعلق بمفهوم الحرية فى الغرب حيث يتحدثون عـــن حرية عامة . اما انا فاقصد حرية واقعية اقل تجريدا ، قوامهــا الحصول على اكثر من زوجين من الاحذية وعلى الطعام الوفير . ويبدولى ان رفض الجائزة اقل خطورة من قبولها ، لان قبولهــا معناه اننى ارتضيت لنفســـى ما سأسميه (بالاستعادة الموضوعية (récupétation objective**

**ولست اقصد بهذا ان جائزة نوبل جائزة بورجوازية ، ولكن هــذا هو التفسير البورجوازى الــذى ستعطيه لها دون شك بعــض الاوساط التى اعرفها جيدا » .**

واخيرا تمرض سارتر الـــى ما سماه بمشكلة المال اى مبلغ الجائزة ، فقال :

(( لقد اوقعنى هــذا المشكل فى حيرة بين أن اقبل الجائـــزة واقدم المبلغ المالى الذى ساتلقاه كمساعدة منى لبعض الحركــات والمنظمات التى اقدر اهميتهـــا ، وبين أن ارفض الجائزة للاسباب العامة التى ذكرتها واحرم هـــذه المنظمات من المساعدة التـــى قد تكون فى حاجة اليها . ولكننى اظن انه ليست هناك فى الواقع مشكلة ، اذ لا يمكن ان يتقـــدم الانسان برفض مبلغ ٢٥٠ الـــف كورونة ( عملة سويدية ) من اجل مبادىء ليست مبادئه وحده وانما يشاركه فيها كثير من اصدقائه . وهذا ما جعل كلا من القراريـــن عسيرا بالنسبة لى : قرار منحى الجائزة وقرار الرفض الـــذى اجد نفسى مضطرا لاتخاذه )).

# انبـــاء ثـقـافيــة

• جان بول سارتر رفـض جائزة نوبل العالمية لسنة ١٩٦٤

• انتخب غبريـال مارسيـل لجائزة « السلام لـعـام ١٩٦٤ » ، هذه الجائـزة تمنح سنويا من قبل مؤسسة انشأتها جمعية ، المكاتـب في جمهورية المانيا الفدرالية ولاول مرة تـمنـح هـذه الجائزة لكاتب فرنسي

• منحت جـائـزة النقاد في فرنسا هذا العام لجـاك اوديبرتي مكافـاة للكتابين الذين نشرهما هـذا العام الاول رواية «المقبور تنغلق بـشـكل سيء» والثانـي مجموعة شعرية «ملاك في الاحشـاء» .

• ٩٠٠ مـحـام عـربـي سيحضرون مؤتمر المحامين العرب السادس الذي يعقد في بغداد اول نوفمبر المقبل

• الشاعر العـراقي عبد الوهاب البياتي الذي ترك موسكو وانتقل الى القاهرة ستصدر لـه مجمـوعة شعرية جديـدة في بيروت عنوانها «كلمات لا تموت» .

• الشاعر العراقى بدر شاكر السياب ساءت حالته الصحية وقد انتقل الى مستشفى الكويت قصد المعالجة .

• **سيعقد مؤتمر الصحفيين العرب فى الكويت فى أواخر الشهر الجارى .**

• انتهى راضى صدوق من اعداد دراستين ادبيتين الاولى منهما عن « النفاق فى الشعر العربى » وقد قام فيها بالتنقيب عن قصائد النفاق فى الشعر العربى منذ اوائل الجاهلية حتى عصرنا هذا . والثانية عن «دور المراة فى الادب العربى .»

• **سيقدم مسرح الجيب فى القاهرة فى موسمه القادم مسرحية بريخت «طبول فى الليل» وقد قامت بترجمتها عن الالمانية ليلى جاد مديرة الادارة الثقافية فى مؤسسة المسرح بالقاهرة .**

• يصدر قريبا فى القاهرة كتاب «ثورة على الفكر العربى المعاصر ودراسات اخرى» لمحيى الدين محمد

• **«وحدى فى الزحام» عنوان المجموعة القصصية التى ستصدر فى القاهرة قريبا للدكتوره سهيرة قلماوى .**

• سيقام فى تونس ما بين ٢٤ ٢٨ فبراير ١٩٦٥ **مهرجان** بمناسبة مرور ٣٠ سنة على وفاة ابو القاسم الشابى وقد دعى الى المهرجان طائفة من الادباء والكتاب العرب .

• **اصيب بالشلل فى لندن المستشرق الكبير وعضو المجامع اللغوية العربية السير هاملتون جب .**

• باشرت مطبعة دار المعارف بطبع معجم للمخطوطات العراقية يتضمن القسم الاول منه الادب والشعر

والتاريخ للاســـتــــاذ على الخاقانـــى .

• **مدرسة الشعر فى النجــف او الشيخ جواد الشبيبـى كتاب جديد للاستاذ عـــلى الخاقانى سيصدر فى جزاين ضخمين عن حياته ، نثــره شعره وسيطبع فى مطابــع دار الحياة فى بيروت .**

• تلاميذ العقاد احتفلوا بعيد ميلاده كالمعتاد بمنزله بمصر الـــجـــديدة .. اضيئــت الشموع واضيفت شـمــــة الى عمره الذى عاشـه .. وضع الكرسى الـــذى كان يجلس عليه فى عيد ميــلاده وعليه باقا تزهور ولمبـــة كهرباء واحدة هى كل مـــا فى الصالة التى اقيم فيهـــا الاحتفال .. رمزا الى نور علمه الذى غمرهم ..

• **فى ٤٠٠ صفحة صدر كتاب (فكرة المسرح) للنـــاقـــد الدرامى فرنسيس فرجسون ترجمة وتعليــق جـــلال العشرى وراجعه درينـــى خشبه . والكتاب يتضمـــن دراسات تطبيقية لروائـــع المسرح العالمى**

• جائزة سنوية تحمـــل اسم ( محمد سعيد العـــريان ) قيمتها ٥٠٠ جنيه قررهـــا مجلس الفنون بـــ : ج.ع. م على ان ينالها صاحـــب احسن كتاب او بحث عـــن ادب النضال العربى .

• **اعـــدت وزارة الـــثـــقـــافة بالجمهورية العربية المتحدة قـــرارا بالاستـــيـــلاء على مـــذكرات سعـــد زغلول تمهيدا للاســـتــيـــلاء على مذكرات الساسة والزعماء السابقيـــن وذلك لاعـــادة كتابة التاريخ القومى فـــى ضوئها .**

• الخطة الخمسيـــة للجنـــة الثقافة تتضمن تبادل الزيارات العربية وايفاد قصاصيـــن

من رجال القصة للرحلات فى البلاد الاجنبية ، واصدار تقويم سنوى للقصة يدعى اليه مندوبون من الدول العربية وسيكون اول هذه المؤتمرات فى نهاية هذا العام بمناسبة مرور ذكرى ٥٠ سنة على قصة (زينب) .. وتتضمن الخطة الخمسية لجنة الشعر اقامة مهرجان الشعر الدورى وتقويم الشعر السنوى .

• **سيصدر قريبا الاستاذ عبد المنعم خفاجي الاستاذ لكلية الدراسات العربية لجامعة الازهر كتاب عن ( الجاحظ) فى سلسلة اعلام العرب فى نحو ٤٠٠ صفحة .**

• بالجمهورية العربية المتحدة انتهب لجان مجلس الفنون من اعداد مشروع قانون خاص يحمى مصالح كل من له نشاط ادبى ملحوظ او مقالات فى الصحف .

• **النقد الادبى عند طه حسين « موضوع رسالة ماجستير قدمها الى كلية آداب القاهرة سامى البدراوى مدرس اللغة العربية فى الجامعة الامريكية ، تناول الطالب تاريخ اسرة طه حسين — من أيام جده الذى يقال ان اصله يونانى (!؟) ثم انتقل سامى الى الاشخاص الذين اثروا فى حياته .**

• تولى الناقد الادبى الدكتور عبد القادر القط مهمة الاشراف على لجنة تقرير الاغانى فى التلفزيون والاذاعة العربيين .

• **اعلنت الجامعة العربية مقاطعتها « لندوة البحر الابيض المتوسط » التى يراسها البروفسور لابيرا نظرا لخضوع الندوة للتوجيها تالصهيونية .**

• اول جمعية فلاسفة تم تكوينها فى مصر يراسها

حسن ظاظا . اول نشاطها هو اصدار مجلة شهرية

• **حياة العقاد سيؤلف عنها مجلس الفنون فى القاهرة كتابا يتكلف ١٠٠٠ جنيه .**

• شكل مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة هيئة علمية لاصدار موسوعة عن العلوم الاسلامية تشمل دراسة الفقه الاسلامى المقارن بالقوانين الوضعية وتقنينه .. كما تشمل وضع دائرة معارف اعلام القرآن

• **نعت انباء القاهرة فى الشهر الماضى الاستاذ الاديب درينى خشبة ، الذى خلف عشرات الكتب الموضوعة والمترجمة فى مختلف فنون الادب واهمها المسرحية وقد نعته كافة المحافل الادبية فى البلاد العربية والاجنبية .**

• كتاب حول العالم فى ٢٠٠ يوم الذى سجل فيه انيس منصور اطول رحلة قام بها صحفى ، نفدت طبعته الاولى ، وسيصدر قريبا طبعة ثانية بعد ان اضاف اليه المؤلف اكثر من ٢٠٠ صفحة . سيصبح حجم الكتاب الف صفحة .

• **« الاخطاء العامية الشائعة فى الاندلس وصقلية وبغداد من القرن الرابع الى السادس الهجرى » موضوع رسالة الدكتوراه التى تقدم بها عبد العزيز مطر فى كلية دار العلوم بالقاهرة وناقشها الدكاترة ابراهيم انيس وعبد السلام هارون وحسن عون .**

• الاستاذ احمد عبد الحليم اعد كتابا عن حركة التاليف فى السودان .

• **اعلن فى الجزائر عن وضع جائزتين سنويتين للاعمال الادبية .**

• « لا بحر فى بيروت » المجموعة الثانية التى

اصدرتها الكاتبة السورية غادة السمان . وهي تضم قصصا تجمعها وحدة فكرية متقاربة في المنازع ، ملتصقة بعضها الى بعض حتى لتكاد تكون متكاملة او رواية موزعة الاشخاص في حلقات تروى على مستوى واحد في كآبة ومرارة بيرقعهما احساس عميق بما يجرى في الكون وفهم واع لمعاني تعاقب الايام على الذات الانسانية المثقفة التى تتساءل باستمرار ولا من احد يمنحها الجواب الحقيقي . وقد عنيت الكاتبة فيمجموعتها الجديدة بالرمز عناية فائقة .

• **((هوامش)) كتاب جديد لميخائيل نعيمة يصدر قريبا ، وهو يتناول مواضيع فلسفية اطارها تأملات وجودية .**

• صدر في باريس كتاب « مختارات من الادب [illegible] العربي » وهو اكثر من [illegible] صفحة مع مقدمة للكاتب جاك بيرك وقد قام باعداد الكتاب وترجمة مواده الى اللغة الفرنسية رول ولورا مكاريوس .

• **يطبع في الاتحاد السوفياتي سنويا ١٢٦٠ مليون كتاب و ١٨٣٠٠ مليون نسخة من الجرائد واكثر من ١٠٠٠ مليون نسخة من المجلات .**

• تقرر في الاتحاد السوفياتي حذف عدد من الحروف الابجدية الروسية حيث اصبح عددها ٣٢ حرفا . كما قررت لجنة جامعية حذف ١٦ قاعدة من قواعد النحو ، لاعتبارها عديمة الجدوى .

• **ما زال الكتاب يعلنون بمرارة عجز الحضارة الانسانية عن الاستمرار .**

ذلك هو موضوع رواية جديدة للكاتب (بيير باول) بعنوان (كوكب القردة) انه يقدم فيها مجتمعا تحكمه القرود التى ترتدى ملابس فاخرة وتتسلى بقتل الناس اثناء رحلات الصيد او تجرى حولهم التجارب العلمية .

الكاتب يريد بهذه الرواية الاعلان ان الانسان توقف حين وقع تحت سيطرة شعور بأن الحياة لا معنى لها .